

محمد عوض بن هاشم بك

قصص الأقطار وكشفها

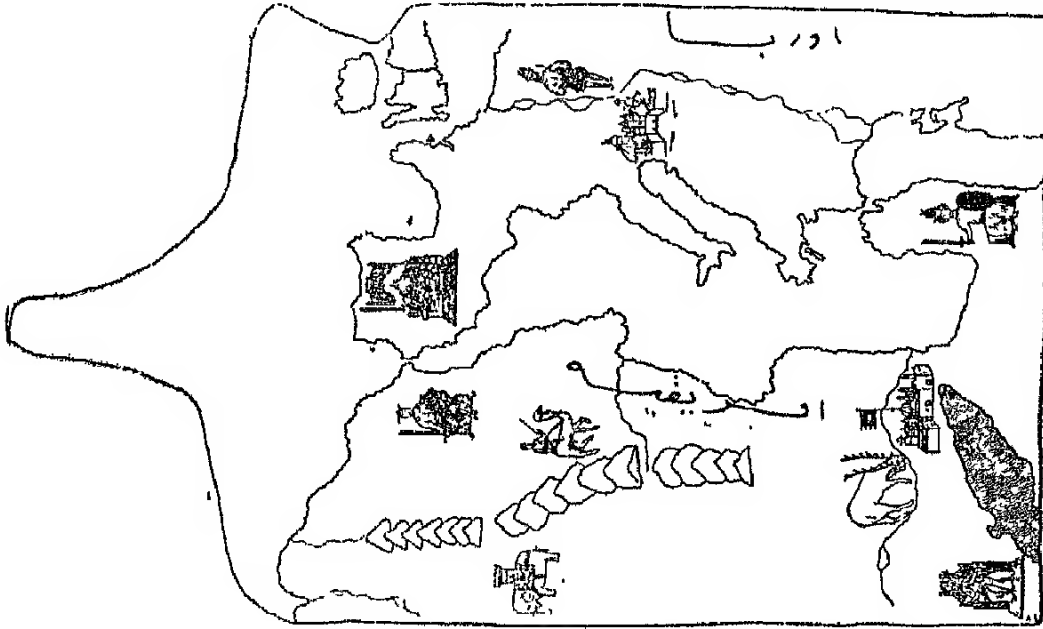


ملازم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

الفصل الأول

الدنيا القديمة

عندما نتأمل في خريطة للدنيا القديمة (شكل ١) تدهشنا غرابة عدم دقتها . ذلك لأنه مثلاً بدلاً من اظهار تفاصيل التضاريس الطبيعية للبحشة نجد صورة لپرسترجون (Prester John) ذلك الملك الخرافي المسيحي لهذا الأقليم من افريقية ، كما أن الخريطة الحقيقية التي اقتضب منها هذا التخطيط تحوى أسماء كثيرة حول شواطئ الاقليم الميمنة في حين أن هذه



(شكل ١)

الأسماء تندرج في سائر الجهات الأخرى وذلك لأنها خريطة بحرية من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المعلومات التي جاءت بها قليلة . وقد تطورت سائر

الخرائط فيما بعد فأصبحت معلوماتها أكثر ضبطاً لأنها تزودت بما كسبه الناس من معارف جديدة . وقد أصبحنا الآن وليست هناك أقاليم لا تعرف تضاريسها العامة على الأقل . ومع أنه ينقصنا الكثير من التفاصيل عنها ، فإن أكثر المسائل الخاصة برسم العالم قد تحلت واتفق عليها .

وإنه لمن المستحيل أن نقول متى أخذ الإنسان يعرف شيئاً عن أجزاء الدنيا التي لا تجاوره غير أنه ما من شك في أن العبرانيين القدماء اهتموا بهذه الأمور وكانت لهم آراء عن شكل الأرض وما شابهها من هذه المسائل . ولقد تصوروا الأرض جسماً مستويا ومركزاً للكون . وكانوا يظنون أن المحيط مجرى من الماء يسيل حول الدنيا . ويجب أن نذكر أنه في تلك الأيام عندما كانت كل أمة تقوم بحاجاتها كانت التجارة قليلة ، وقل لذلك السفر الذي كان يساعدهم على تعديل آرائهم التي تظهر الآن لنا غريبة .

الكلدان والعموريون والمصريون : ويخيل إلينا أن موطن الأمم التجارية الأولى كان في الأرض الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط والجنوب الغربي من آسيا . وكان الاقليم الخصب بين نهري دجلة والفرات مقر الكلدانيين ، كما أن أمة أخرى عظيمة هي الأمة المصرية كانت تقطن دلتا النيل . وكانت تفصل هاتين الأمتين صحراء عظيمة منعتهما من الاتصال ببعضهما ببعض ، على أنه على كثر الزمن اتصل هذان القطران كما يدل على ذلك من التوراة إذ يذكر هذا الكتاب رحلة سيدنا إبراهيم

وأُسْرته من بلاد السكلدانيين إلى مصر وعودته مع جماعة عظيمة إلى كنعان وكذلك قصة سيدنا يوسف مع إخوته وإلقائه في غيابت الجب والتقاطه ببعض السيارة الذين كانوا يحملون التوابل والأفاويه إلى مصر.

الفينيقية: وفضلا عن البحارة المصريين الذين كانوا يسرون بسفنهم في نهر النيل فإن بعض الملاحين القدماء كانوا يرتادون البحر الأبيض المتوسط بين جزائر بحر إيجه . وجاء بعد هؤلاء ملاحو صور وصيدا ، وكانوا يعرفون بالفينيقيين وغصت بهم البحار . وكان يقطن هؤلاء على سواحل سوريا . وفي شرقي هذا الاقليم وقفت صحراء مرتفعة عقبة كثودا في سبيل المواصلات إلا بواسطة طرق تجارية محدودة . على أن البحر كان في غرب هذه المنطقة وعليه اعتمد الفينيقيون في إظهار كفاءتهم وقدرتهم على اقتحام الأخطار . ولقد احتكروا تجارة البحر الأبيض المتوسط زمنا ما وزادوا غناء من بيع الصبغة البنفسجية التي احتكرت انتاجها مملكتهم . ولقد سارت سفنهم من ثغرى المملكة العظيمة (صور وصيدا) شمالا إلى البحر الأسود وآسيا الصغرى ، وغربا إلى شواطئ بلاد اليونان وإيطاليا وبلاد الغال (فرنسا) وشمال افريقية ، وشرقا إلى خليج الفرس وجنوبا إلى زنجبار . ولا يخامرنا إلا بعض الشك في أن هؤلاء القوم وصلوا إلى كرنول Cornwell بأجملته وجزائر سلى حيث تجروا في التصدير غير أنهم لم يحاولوا إقامة دعائم امبراطورية بيد أنهم استقروا في بعض الجهات وكونوا ولايات مستقلة وأهم هذه

هرطاجنة التي أسست في سنة ٧٧٠ قبل الميلاد على الشاطئ الشمالي من أفريقيا بالقرب من مدينة تونس الحديثة ومن هذه المدينة قاموا بعدة سفرات على شواطئ افريقية متجهين نحو الغرب قاصدين «عمودي هرقل» وهما صخر تاجبل طارق وسبته العظيمة تان في المدخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط اليونانيون : أما اليونانيون الذين كانوا يقطنون شرقي بحرايجه وغربيه فاهتموا بالمسائل الخاصة بشكل الأرض وتضاريفها الطبيعية في الجملة . ولم يجوبوا أقطاراً بعيدة مثل الفينيقيين بيد أنهم أسسوا مستعمرات في كثير من الأقاليم الغربية . فكانت لهم مستعمرات على شواطئ آسيا الصغرى والبحر الأسود وعلى الشواطئ الشمالية لبحر إيجه . كما كانت لهم مستعمرات في صقلية . وفي شواطئ إيطاليا . وأسسوا مرسيليا بالقرب من مصب نهر الرون Rhone وكانت كل هذه المستعمرات مستقلة ولو أنها كانت مرتبطة بعضها ببعض بوحدة الدين واللغة والاشتراك في الحفلات الرياضية العظيمة التي كانت تقام في أوليمبيا (الألعاب الأولمبية) وكانت هذه المستعمرات مراكز للتجارة ومنها سافر التجار للبحث عن السلع التجارية . وإحدى هذه الرحلات كانت مهمة إذ نشأ عنها اكتشاف الجزائر البريطانية . ذلك أنه في القرن الرابع قبل الميلاد أرسل يونانيو مرسيليا عالما بالرياضيات مشهورا يدعى بيثيس Pythous لارتياح البحار غربي عمودي هرقل رغبة في اكتشاف أرض جديدة يمكن الاتجار معها فسار في المحيط متجها صوب الشمال حذاء الشاطئ حتى خليج بسكاي ومن هناك سافر إلى بريطانيا حيث رست سفينته على شاطئ كنت Kent وفحص جزءاً عظيماً من الشاطئ غير أنه

بالغ في تقدير طوله ؛ ومن ثم سافر حتى مصب نهر الراين واستمر شمالا حتى بلغ أرضاً سماها ثول (Thule) وقد وصفها بأنها أقصى بلاد الدنيا شمالا ولكنه لم يحدد بالضبط موقعها ، ومنها عاد إلى مرسيليا مخترقا فرنسا .

ونقد أسس علماء اليونان في هذه الأيام دعامة آرائهم على آراء الفينيقيين وانا لنجد أقدم وصف لشكل الأرض في أدب اللغة اليونانية في قصائد هوميروس (Homer) حيث ذكر فيها أن الأرض مستوية مستديرة يجرى حولها النهر العظيم المسمى أقيانوس وهذا يطابق آراء العبرانيين . وفي الأيام التي تلت تلك سافر كثير من السائحين اليونانيين مثل هيردوت (Herodotus) ولم يكن هذا سائحا عظيما فحسب بل مؤرخا أيضا ؛ وكتب عما رآه في مصر وهو الذي قال عنها إنها « هبة النيل » وزار أيضا بلاد العرب وبلاد الفرس والشاطئ الشمالي الغربي للهند .

وغزا الاسكندر المقدوني كل آسيا الصغرى وبعض أجزاء أخرى من آسيا وأفريقية وسار بجنوده . إلى الشمال الغربي من الهند سنة ٣٢٧ ق . م ، فانتعشت التجارة واتبعت طريق فتوحاته . ولم يهتم رجال مثل الاسكندر بتخطيط الأقاليم التي فتحها ، ولكن في القرن الثالث قبل الميلاد ظهر علماء كثيرون اهتموا بالبحث الجغرافي : فيروى أنه في سنة ٢٤٠ ق . م أكد عالم يوناني بأن الأرض كرية الشكل واخترع بالفعل طريقة لقياس محيطها ، ولم تكن النتيجة التي وصل إليها بعيدة عن الحقيقة . غير أن الخريطة التي رسمها كان بالطبع بها الكثير من الخطأ الغريب . فمثلا

رسم بحر قزوين كأنه متصل بالحيط المتجمد الشمالى . ورسم سلسلة جبال عظيمة ممتدة بوسط آسيا من الغرب إلى الشرق .

الرومان: وعندما شيد الرومان امبراطوريتهم العظيمة حول البحر الأبيض المتوسط أضافوا معلومات كثيرة أخرى عن الدنيا . ولم يكن من بينهم الكاشفون الرومانيون ولكن التجارة أينعت في أيامهم : فلقد جاءوا بالبضائع الكثيرة من بريطانيا وأسبانيا في أقصى الحدود الغربية لامبراطوريتهم كما أنهم أحضروا من الهند وآسيا الصغرى في الشرق السلع التي نعلم بها الرومانيون الأثرياء . وكان من جراء هذا التبادل التجارى بين أقاليم منفصلة بعضها عن بعض بمسافات شاسعة أن اتسع أفق المعلومات الجغرافية . ذلك إلى أن الكثير من القواد الرومانيين قد عنوا عناية عظيمة بما وقع تحت أبصارهم : فيوليوس قيصر الذى جاب أقاليم فرنسا وأسبانيا وألمانيا وبريطانيا كتب كتباً كثيرة عن مشاهداته ، ولم يصف بها أعمال جنوده فحسب بل وصف التضاريس الطبيعية للأقاليم التى غزاها . ومن الأمثلة الحسنة لهذا الوصف شرحه لشكل الجزائر البريطانية ومناخها وغللاتها وسكانها .

واشتهر في القرنين الأول والثانى قبل الميلاد كثير من الباحثين الجغرافيين الرومانيين والروم ومن هؤلاء بطليموس الذى كان يعتقد بكرة الأرض ورسم خريطة للعالم ظلت مستعملة عدة قرون على ما بها من الكثير من الأخطاء إذ أن العادة جرت في هذه الأيام برسم الأرض التى

لم تكشف بعد على سبيل الظن والحدس: فمثلا رسم بطليموس المحيط الهندي بحرا عظيما داخليا ورسم جنوبيه قارة عظيمة تمتد من الجنوب الشرقى للصين حتى شاطئ أفريقية ، وهذه القارة وكذلك وسط أفريقية مهيئة كأنها أقاليم صحراوية غير مأهولة لشدة حرارتها .

وقصارى القول أن المعلومات الجغرافية (عندما أخذت الدولة الرومانية بنى الانهيار أى فى آخر القرن الرابع) عن الأقطار التى تحف الأبيض المتوسط كانت معروفة تمام المعرفة وخططت تخطيطا بقرب من الحقيقة على الخرائط . وظهرت الدنيا المعلومة محددة شمالا بغابات وسط أوروبا وجنوبا بصحارى شمال أفريقية وغربا بالمحيط الأطلسى وشرقا بهضاب وسط آسيا . هذا فضلا عن أنه قد عرف الكثير عن الشاطئ الشرقى لآسيا حتى الهند الصينية . وشاطئ أفريقية الشرقى حتى زنجبار . ويحتمل أنه كان هناك بعض الألمان بخليج غانه . أما القارة الأمريكية وأستراليا والجزء الشمالى الشرقى من آسيا وكذلك شمال أوروبا وجنوب أفريقية فلم يعلم عنها شئ . والأقاليم التى كانت معروفة كانت المعلومات عنها كثيرة الخطأ . ولذلك اتجه الكشف فيما بعد جهتين أولاهما اضافة كثير من التفاصيل إلى الخرائط التى وضعت سواء من جهة اصلاحها أو من جهة زيادتها . وثانيتهما كشف الكثير من الأقطار التى لم يعلم عنها شئ بعد .

الفصل الثاني

العصور المظلمة والفيكنج (Vikings) [سكان الشمال]

أغار على الدولة الرومانية في أثناء القرن الخامس بعد الميلاد جماعات من قبائل كثيرة أغلبها نزحت من وسط أوروبا أو الأقاليم التي تحف بالبحر الأسود . وليس هنا مجال بحث حركات هذه القبائل بالتفصيل ، ولا كيف سارت قبائل الوند (Vandals) والقوط (Goths) والفرانك (Frank) والهنون (Huns) من أقليم إلى آخر . غير أن هؤلاء البرابرة قد استقروا وكونوا ممالك جديدة في غرب أوروبا . وكان لرحلاتهم إلى غرب أوروبا أثر كبير .

ويجب الا نطن أن هؤلاء كانوا برابرة بمعنى الكلمة لأن الكثير منهم كانوا على جانب عظيم من الذكاء بل والثقافة أيضاً . ولقد طاب لهم المقام في بعض جهات الامبراطورية الرومانية ، واستقرت حالتهم فتمددوا . وذلك مثل القوط . على أنه بالرغم من ذلك فإن غارات هؤلاء القوم الجدد عرقل تقدم الأدب والفن وما إليهما . فأخذ الأدب والفن ينكمشان عما كانا في عصر الدولة الرومانية ، نقل تشييد القصور الرائعة واقتصرت مبانهم على دور أقل رغبة من تلك التي شيدت في عهد الرومان واليونان .

ولقد وصف العلماء فيما بعد هذا العصر الذي امتد من سنة ٦٠٠ ب م و ١٢٠٠ ب م إنه كان عهد الظلام ؛ على أنه ليس صحيحاً أن هذه الفترة

لم تكن فترة تقدم في العلوم فإن رجالا مثل ألفرد العظيم وشارلي العظيم، أثبتا لنا أن إنه كان بها عباقرة على جانب عظيم من المعرفة في هذا العصر غير أننا إذا وازنا بين هذه المعرفة ومن سبقها مما كانت قائمة في العصور القديمة تظهر لنا قلة تقدمها مما يجعله قميئا بأن يسمى عهد العصور المظلمة .

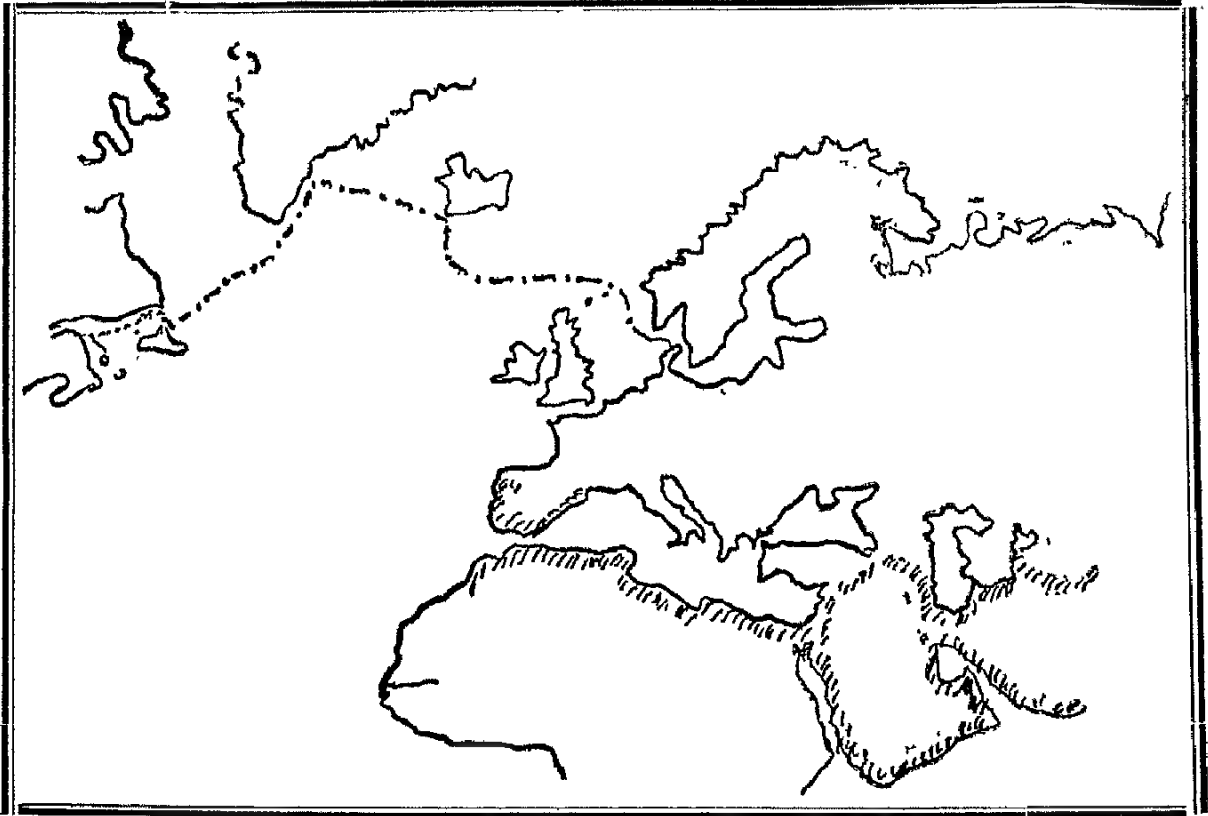
ويستدل على ضعف التقدم في هذا العصر استبدلالا واضحا من تقصير القوم في زيادة معارفهم عن العالم (فيما عدا اقليتهم) نعم لقد كثرت الرحلات في أوروبا . ولكن إنتشار الدين الإسلامي في القرن السابع عشر كان من شأنه قطع علاقات أوروبا تقريبا بالشرق والجنوب فلقد شن المسلمون الحرب على المسيحيين وعبرا مضيق جبل طارق واستولوا على أسبانيا . ولم يصددهم عن غزو أوروبا الا قبائل الفرنك . وبذلك أصبحت الأقاليم جنوبى البحر الأبيض المتوسط وشرقيه تحت سيطرة المسلمين الذين وقفوا سدا منيعا أمام تجول الاوربيين المسيحيين في هذا البقاع .

ولما كان المسلمون يميلون إلى عدم ركوب الأخطار لكشف أراض جديدة والمجازفة بركوب بحار يجهلون بها فقد وقف تقدم الكشف الجغرافى في هذا الجزء من أوروبا . غير أنه كانت هناك بعض أجزاء من هذه القارة لم تؤثر فيها الفتوحات الإسلامية :

النرويج : ففي شمال أوروبا في اسكندناوة ودنماركه عاش النورسم

(Norsemen) أو سكان الشمال حول فجوات الشواطىء أو الفيور دات (Fiords) . ووقفت جبال بلادهم وطبيعة أرضهم سداً منيعاً في طريق نزوحهم من.

الشاطيء إلى الداخل . فاعتمدوا في معيشتهم على خيرات السواحل . ولما لم يكن بأرضهم متسع لإقامتهم جميعا إقامة ينعمون بها بحياة مريحة . فلذلك عمدوا عند ما أنسوا من أنفسهم القوة إلى التغلب على الأقاليم المجاورة وقام المستقل منهم مثل الفيكنج بغزو هذه الأقاليم . ولقد كانوا ملاحين مهرة جريئين متعودين شطف العيش بوسائل لا يخشون شيئا . فسارت سفنهم حول شواطئ أوروبا وفي المحيط الأطلنطي وغزوا شواطئ بريطانيا وإيرلنده والمانيا وفرنسا . وساروا في الأنهار وكان جل همهم أول الأمر النهب والسلب ولكنهم سرعان ما استقر لهم المقام في الأراضي التي



(شكل ٢ رحلات الترسيم البلاد الإسلامية)

وصلوا اليها : فاستوطنوا نرمنديا التي سميت باسمهم وانجلترة وإيرلنده . ويقال أن شزيمة منهم سافرت في نهر عظيم في قلب أوربا وأسست المملكة الروسية .

ولم تكن أولى رحلاتهم بعيدة عن شواطئ أوربا . ولكنهم فيما بعد ازدادوا جرأة فاقلموا في المحيط الأطلسي الشمالى على الرغم من الأعاصير التي كانت تهب على هذا البحر والتي كان يخشى بأسها بالرغم من عدم وجود الخرائط البحرية أو غيرها التي كانت ترشدهم في رحلاتهم . ولقد نقل إلينا بعض القصص عن رحلات قام بها غيرهم ولكن لم يعرف عنها إلا القليل ولذلك يصح أن يقال أن النرسمين كان لهم أول الفضل في ذلك . نعم قد سافر بعض رهبان إيرلنده إلى جزائر فارو (Faros) وإيسلندا وما إليهما ولكن لما كان جل همهم الإقامة في أقاليم ينعمون فيها بالعزلة التي كانوا يرغبون فيها أشد الرغبة فلم يزدوا برحلاتهم هذه إلا الفذر اليسير على المعلومات الجغرافية . ولما كانت هذه الجزائر كثيرة ومتشعبة (جزائر أركنى وشتلند وفارو وإيسلند) فكان هؤلاء الجوالون ينتقلون مبتدئين خطوة فخطوة من جزيرة إلى أخرى .

وكانت أيسلند مقر هؤلاء المخاطرين ، ومنها رحل إريك (Eric) الأحمر سنة ٩٨٥ غربا وسرعان ما عاد وأخبر مواطنيه أنه كشف أرضا جديدة بها الكثير من الكلاً الأخضر قد تصلح موطناً لا تقا لمن يرغب الإقامة بها . ولقد سمي إريك هذه الأرض جرينلند (Greenland) أو الأرض الخضراء . ومن البدهى أنه لم يكن يعرف شيئا عن طبيعة الأرض الداخلية

لهذه الجزيرة العظيمة وإلا لعدل عن رأيه من حيث صلاحيتها للاقامة على أن الكثير من مواطنيهم قد أشاقهم وصفه فأقلع عدد عظيم منهم نساء ورجال إليها وفي سنة (٩٨٦) استقروا بها وأسسوا فيها أول مستعمرة أوربية .

وفي سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد أبحر ليف (Leif) بن إريك صوب الجنوب إلى أرض رآها بعض هؤلاء الجوّالة قبل ذلك . وأول إقليم وصلوا إليه كان أرضا جرداء لا تغرى الناس بسكنائها ، وهذه كانت بلاشك لبرادور (Labrador) فأبحروا جنوبا ورأوا أرضا تغطيها الأشجار الكثيفة وحطوا رحالهم في جزيرة نيوفونلند (Newfoundland) ولقد سرهم مناخ هذه الأرض المعتدل ، ولكنهم كانت دهشتهم عظيمة عند ما عبروا المضيق الذي يفصل هذه الجزيرة عن الأرض لأنهم وجدوا هذه عظيمة الخصب وبها أنهار وبحيرات مفعمة بالسماك المسمى حوت سليمان (Solmon) وأشجار الزبيب الكثيرة ولذلك سموها هذه الأرض أرض الكرم (Vinland) . ويخيل إلينا أن هذه جزيرة نوفا سكوتشيا (Nova Scotia) . ولقد استقروا في القارة الأمريكية حوالى خمسمائة سنة قبل أن يقوم كلبس بأول سفرة من سفراته . ثم قامت جملة حملات من جرينلند إلى فينلند بقصد استعمارها ولكنها لاقى مصاعب جمة عاقبتها عن الوصول إلى أغراضها ذلك لأن قبائل الهنود الحمر والاسكيموا قاوموهم ، وتخاصم النرسمين فيما بينهم ودبت فيهم روح البغضاء والتنافر ، هذا إلى أنه في أوائل القرن الخامس عشر انقرضت ذرية المستعمرين من جرينلند لأن الجو كان قاسيا ناءت به صحتهم وغلبهم .

الاسكيموا على أمرهم ، و بذلك خيم الظلام مرة ثانية على القارة الامريكية . ولم تنقش هذه الغمة إلا بعد مائة سنة عند ما زارها كلبس وأتباعه .

ويجب ألا يغرب على البال أن الفيكنج لم يكونوا مجرد ملاحين يجوبون البحار ولا غرض لهم سوى السلب والنهب لانهم كثيرا ما أبدوا رغبتهم في الاتجار مع أهل البلاد التي اتصلوا بها : ويدلك على ذلك قصة أهثير (Ohthere) الضابط الفيكنجي الشهير الذي زار انجلترا وأكرم وفادته الملك ألفرد وأهتم بشأن أعماله وساعد على ارساله في حملة حول رأس الشمال والبحر الأبيض سنة (٨٩٢) ؛ وكان من نتيجة هذه الحملة أن قامت التجارة مع أركنجل .

وفي العصور الأولى لعهد استعمار أراضي غرب أوربا عمل الفيكنج بطريقة غير مباشرة على تنشيط الكشف إذ كان لهم أثر عظيم في بث روح النشاط في سكانها : فالانجليز مثلا كانوا بلا شك أول من اتصل بالفيكنج في القرنين التاسع والعاشر ، ولذلك نراهم قد صاروا أكثر شجاعة وصلابة وميلا إلى خوض غمار الطرق التجارية والكشف أكثر من ذي قبل .

الفصل الثالث

الجوابون المسلمون — الرهبان المسيحيون — مار كوبولو

المسلمون : كان للثقافة الإسلامية التي أشرنا إليها من قبل أثرها في الكشف الجغرافي . ولم يكن للامبراطورية الإسلامية مركز واحد يراقب زيادة انتشارها نحو الشمال والشرق والغرب : ففي مدة حكم الوليد سنة ٧٠٥ م ، والسنون التالية كانت جيوش المسلمين مشتغلة بالغزو شرقا حتى نهر السند وارتادت أساطيلها البحر الأبيض المتوسط حتى سردانيا وصقلية ، ولكنهم لما كانوا ينشرون ديانتهم بين أمم أخرى فانضمت لهم ممالك أخرى غير عربية كما يدل على ذلك قيام الدولة العباسية في بلاد



(شكل ٣ مار كوبولو بآسيا)

الفرس . وفي منتصف القرن الثامن كانت السلطة كلها بيد المسلمين لا العرب . ويمكن الاستدلال على ذلك من أن ستة من الستة عشر رجلاً الذين اشتغلوا بعلم تقويم البلدان المشهورين ما بين القرنين التاسع والثالث عشر كانوا من أهل الفرس وأربعة من بغداد وأربعة من الأندلس . وكان اتساع الفتوح العربى سبباً فى دراسة تقويم البلدان . وكان الكثير من هؤلاء ، تجار يجوبون الأقطار لدراسة أحوالها ومعرفة سهلها ووعرها وجبالها وأوديتها وطرقها البرية والبحرية وما تنتجها أرضها من أنواع الغلات حتى يجبى الخراج بنسبة ذلك ونظموا البريد وقاسوا الأبعاد بين البلاد . ومن أولئك الجوابين الذين ساحوا فى القرن العاشر الميلادى ابن خرداذبة سنة ٩١٢ واليعقوبى وقدامه سنة ٩٢٢ والبلخى سنة ٩٣٤ وابن حوقل سنة ٩٨٠ وقد كتبوا فيما شاهدوه من أحوال البلاد التى زادوها كتباً قيمة . ويجب ألا ننسى مناصرة هارون الرشيد للبحث الفلكى والجغرافى فأمر بترجمة كتابى مرنس Mairnus وبطليموس وغيرها وفى أيامه قيس محيط الكرة الأرضية والدرجة الأرضية وطول البحر الأبيض المتوسط وكان الخطأ فى التقدير عما نعرفه الآن قليلاً . أما الخرائط لم تتقدم تقدم الوصف الكتابى . ولقد أتقن « الاسطرلاب ^(١) » واستعمل فى قياس الارتفاعات الفلكية وخطوط الطول والزمن وارتفاع الجبال . . . الخ ومنه اخترع الاسطرلاب البحرى الذى استعمله بحارة كلبس فى القرن الخامس عشر .

(١) الاسطرلاب خريطة سطحية لدوائر البروج

على أن المسلمين بوجه عام لم يكن لهم أثر عظيم في الكشف البحري ذلك لأن العرب كانوا يعتقدون أن الدنيا أرض شاسعة الأطراف مركزها بغداد وبحيط بها بحر الظلمات ، وقل من مال منهم إلى المخاطرة بسفنهم في البحر بعيداً عن الشاطئ إذ كانوا يصورون لأنفسهم مخاطر تنزل بهم إذا ما حاولوا ذلك . ففي سنة ١٣٩٠ قال أحداهم « ان المحيط الأطلسي لا حدود له ولا تستطيع اية سفينة أن تبحر فيه بعيدة من مرمى النظر من الأرض ، لأنه حتى على فرض أن الملاحين كانوا على علم باتجاه الرياح فلم يكونوا واثقين من الجهة التي تبحر هذه الرياح الفلك اليها . ولما كانت لا توجد أرض مسكونة بعد هذا المحيط فانهم قد يضلون ويهلكون في ديجور من الضباب والبخار . وهذا المحيط هو الحدود الغربية للعالم .

ومع ذلك فقد عرف المسلمون الكثير عن بعض أجزاء الدنيا لأنهم جالوا كثيراً في ربوع آسيا وفي شرق افريقية . ويستدل على ذلك من قصص ألف ليلة وليلة وبخاصة أسفار السندباد البحري . وليس من المحتمل أن شخصاً يحمل هذا الاسم عاش ولو أنه عاش لاستحال عليه ركوب المخاطر التي تقصها علينا رحلاته . ولكن مما لا شك فيه أن الجهات التي ذكرت في قصصه مثل الهند وسيلان وسومطره (جزيرة القردة) كانت معلومة لدى العرب : وهذا ظاهر من الوصف الدقيق الذي أنبأ نابه عن غلات هذه البلاد وسكانها وحيواناتها ومن المحتمل أن القصة مجموعة قصص لجوالين كثيرين جمعت بعضها إلى بعض وأضيف اليها الكثير من نسج الخيال .

ويشتهر هذا العصر فضلا عن سياحات بحارة مثل السندباد وغيره حول شواطئ آسيا الجنوبية، بجولات قام بها الرجل بين جنوب أوزباو شرق آسيا ووسطها . وقبل السكلام عن هذه الرحلات نذكر طرقا عن المغول والتتر . ومنغولوا هضبه في شمال شرق اسيا، وفي أوائل القرن الثالث عشر انتشر أهلها انتشار الجراد في السهول الشمالية وغزوا روسيا والمجر . ولقد طاب لهم المقام واستقروا ونصبوا خيامهم (المصنوعة من الوبر والصوف) في بعض الجهات التي من أشهرها ضفاف نهر القلجا . وأرسل البابا في هذه الأيام الرهبان ليحاولوا تنصير هؤلاء القوم . وأشهر من قام بهذه المهمة الخطيرة كان راهبا يدعى « جون » فوصل إلى المعسكر على نهر القلجا وقابله رئيس التتر الذي كان يدعى « خان » فأخطره هذا أن عليه أن يستمر في رحلته حتى يصل إلى مقر الخان العظيم في منغوليا .

ولم ينل هؤلاء الرجال أى تشجيع من هذا العاهل العظيم واضطروا للعودة أدراجهم آلاف الأميال في بلاد يجهلون بها كانت تفصل بينهم وبين موطنهم ؛ على أنهم لم يهتموا بملاحظة عادة التتر الرعوية وعملو كعبيهم في الصناعة ، وبأسهم في القتال .

الرهبان : وفي عهد لويس الحادى عشر ملك فرنسا الذى اشتهر بجهامته في الحروب الصليبية ، سافر راهب يدعى ربريكي (Rubyuquis) إلى بلاط الخان العظيم مزوداً برسائل من الملك يدعو الخان فيها إلى الاعتراف بالبابا واعتناق النصرانية . ولقد وصل هذا الراهب وزملاءه إلى نهر القلجا بعد تجشم الكثير من المصاعب والأخطار واضطروا لمقابلة

سُحِبَ هذا الأليم وتقدموا إليه لابسين الملابس الكهنوتية حاملين «التوراه»
والزرايمير . فأخذ اثنان منهم هذه الكتب وسمح لهم في الاستمرار في الرحلة ،
فقطعوا أميالاً كثيرة وصلوا الى مقر اثنان بعدها في بلد واقع في شمال صحراء
جنوبي العظيمة ، غير انهم فشلوا في مسعاهم لتنصير هذا العاهل ورجعوا سنة
١٢٥٥ بعد أن صرفوا ما يقرب من ثلاث سنوات في جولاتهم الأسبوعية .
ولقد تكشفت رحلات هؤلاء الرهبان في اسيا عن نتائج غريبة ،
ذلك انهم وجدوا أن المسيحية كانت متشرة هناك على وجه ما وانهم سمعوا أن
مملكة مسيحية قائمة في الجنوب الغربي من هذه القارة يحكمها ملك يدعى
برستر جون Prestor John ولقد حاول المسيحيون أن يسيطروا اللثام عن هذا
الشخص الغامض ، وسنذكر في فصل يأتي بعد محاولاتهم للبحث عنه .
وبينما كان النساء والرهبان يتجشمون العناء لادخال المسيحية وسلطة
البابا باسيا كانت تقوم جماعة أخرى من السياح ببذل جهدهم لنشر التجارة
الأوربية هناك . وكانت مدينة البندقية هي الجلمية في هذا الشأن ، وذلك
لأن مركزها جعلها ميناء عظيمة إذ أنها في النهاية الشمالية لبحر الأدرياتى وفي
منتصف المسافة بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربيه ، وعلى مقربة
من ممر يخترق جبال الالب ، ويصلها بوادي الراين والدانوب ، وهذا مما
جعل تجارتها أكثر سائر تجار مدن أوربا ثراء ، لانهم كانوا يقايضون
بسلع أوربا بضائع الشرق الثمينة ، وسارت سفنهم إلى جميع ثغور أوربا كما
سمعنا بذلك من مسرحية تاخر البندقية لشكسبير . هذا فضلاً عن أن كثيراً
من البنادقة جاسوا خلال الأرض الداخلة إلى مسافات شاسعة وبلاد بعيدة .

ماركو بولو : وكان أشهر رحلات البنادقة ماركو بولو : ففى
وسط القرن الثالث عشر (سنة ١٢٦٠ م) سافر أبوه وعمه إلى جنوب روسيا
وبعد أن تجولا فى الجهة الشمالية الشرقية أغريا على السفر إلى بلاط قبلای
خان فى قلب الصين . وقد أرسل هذا معهما رسالة إلى البابا يسأله فيها أن
يمده برجال لتعليم التتر العقائد المسيحية ولكنهما عندما وصلا وجدا
البابا قد مات ، واضطرا للانتظار حتى يختار بابا آخر . وبعد وقت طويل
عاد أدراجهما إلى إقليم قبلای خان سنة ١٢٧٠ ومعهما ماركو بولو وراهبان
أمكنهم اقناعهما فى بالذهاب معهما على أن هذين مالبثا بعد سفر قصير أن
رجعا . ولقد سافر هؤلاء الرحالة الثلاثة من شاطئ سوريا واقتحموا أرض
ارمنيا وبلاد الفرس حتى وصلوا مدينة بغداد ومن ثم استمروا حتى خليج
العجم ثم عادوا مخترقين بلاد الفرس حتى وصلوا أفغانستان . ولقد مروا فى
طريقهم على مراكز التجارة المهمة وهى كشغر ويرقند وخوتان ودخلوا
صحراء جوبى الجرذاء ومروا فى طريقهم على عدة مدن غمرتها رمال الصحراء
المتنقلة . وبعد سفر استمر ثلاث سنوات وصلوا إلى بلاط قبلای فى
شانجنتون فى جبال خينجيان

ولقد أكرم الخان الذى كان يسكن فى قصر فخم وفادة المسافرين
وأدخل ماركو بولو فى خدمته ورفاه إلى أرقى مراتب دولته واستخدمه فى
السفر من جانبه فى كل أقاليم الصين على أن يدون مذكرات عن هذه

الرجاليت ، وظل في خدمته سبعة عشر عاماً ولم يسمح له بالعودة إلى بلاده عندما طلب ذلك وقال له ولأخوته أنه تأخى معهم بل ويحبهم ولا يستطيع مفارقتهم وأنه مستعد لنفجهم بكل ما يطلبون من أسباب الثراء والغنى ، فبقوا على الرغم منهم حتى حانت لهم فرصة للهروب : ذلك أن خان الفرس أرسل سفيرا إلى قبلاي طالبا البناء بابنته فوقع الاختيار على پولو وأخوته لأصطحب العروس إلى موطنها الجديد فاتخذوا طريق الشاطئ الشرق للأسيا وعبروا مضيق ملقا واخترقوا جزيرة سيلان ثم سافروا نحو هرمز وتركوا العروس هناك ثم فروا إلى طرابزون على البحر الأسود ومن ثم أقلمت بهم سفينة إلى البندقية . وعندما وصلوا إلى هذه المدينة تنكر لهم أهلها ولم يصدقوا أنهم هم الناس الذين سافروا من بلدهم منذ ربح من الزمن . على أنهم ما كادوا يظهرن لمواطنيهم الملابس الفخمة والجواهر التي جاءوا بها من الشرق حتى صدقوهم . ولقد اندلع حرب بعد ذلك بزمن بين البنادقة وأهل جنوا فأمر في إحدى المعارك ماركو پولو سنة ١٢٩٨ م وسجن وفي أثناء سجنه كتب وصفا لرحلته عبر آسيا وحياة رعايا الخان . ويحوى هذا الكتاب معلومات شقة حقيقية ولو أن خياله كان بلا شك بخصبا فيما يختص بالتفصيل : فلقد شرح پولو أحوال التتر وصفا مطولا فقال عنهم أنهم لا يستقرون في بقعة واحدة ، ذلك لأنه عندما يحل الشتاء يرحلون إلى بقاع أكثر دفئا كي يجدوا مراعى كافية لمواشيهم ، وأما في الصيف فيعمدون

إلى المواطن الباردة في الجبال حيث يقيطن الماء ويكثر الكلال وتكون
أنعامهم آمنة من لشع الحشرات ، ويستمرزون في هذه الأيام صقودا فوق
الجبال باحثين عن الكلال لأن مواشيتهم وأغنماهم أكثر من أن يكفيها
الكلال في بقعة واحدة ، ويحملون خيامهم معهم أينما حلوا وطاب لهم
المقام . . نولقد شرح الأقاليم المختلفة لأمبراطوره وصفا مفصلا أعظم
التفصيل وأبان مقدار تقدم سكانها في المدنية والحضارة . ويقول « أن
بالبلاد طرقا رئيسية عظيمة وبها محطات على بعد كل خمسة عشر ميلا
واستراحات للمسافرين . وفي كل استراحة أربعائة حصان على أهبة
الاستعداد لأن يستخدمها رسل الخان حتى يتسنى لهم دائما السفر السريع .
وعلى مسيرة كل ثلاثة أميال قرى يقطنها الرسل الراحلين وهؤلاء يتمنطقون
بأحزمة معلق بها أجراس صغيرة حتى يشعر بقدومهم على مسافة بعيدة
من قدومهم . ولما كانت المسافة التي يقطعونها في كل رحلة ثلاثة أميال
فإن جلبة الأجراس تنبئ بقدومهم ، فيكون الرسول الآخر مستعدا للسير
بالرسالة مسافة أخرى عند قدوم حامل البريد . وقد غرست الأشجار على
بعض أجزاء الطرق كي يستظل بها المسافرون في الصيف ولكي يرشد عن
الطريق في الشتاء عندما يغطي الثلج الأرض وتندثر معالم السبل . »
وليس هنا مجال الوصف المطول للأشياء الكثيرة الهامة التي أخبرنا
عنها پولو عن اليابان والممالك الأخرى التي سمع عنها ، ولا شرحا للفهم

حزيت البترول وغير ذلك من الغلات القيمة التي رآها في رحلاته ولم يترك
زيادة لمستزيد مدة طويلة ، ولكن أجل ما في كتابه ذلك الوصف الخيالي
للشرق وهو صورة ناصعة لمجائب هذا الاقليم الغامض وجماله . وقد خلد
التاريخ لهذا الرحالة مركزا حسنا في تاريخ الكشف الجغرافي ، وهو في
المصور الوسطى بمثابة هيروdot في القرون القديمة . ولكن مما يؤسف له
أن أحدا من عصره لم يثق به . ولم يوجد في تاريخ الكشف البري بعد
عمل ماركو بولو نما زاد في مقدار المعارف الجغرافية قبل القرن الخامس عشر

الفصل الرابع

الأمير هنرى الملاح

يبدأ بانتهاء القرن الرابع عشر عهد جديد في تاريخ الكشف إذ أنه حتى هذا التاريخ كان مقصورا على الكشف البرى مع رحلات ساحلية قصيرة ، وإذا استثنينا رحلات هانو القرطاجنى ورجال الشمال فإنه لم يحاول أحد الابحار فى رحلات طويلة عبر المحيطات . ولقد قام بعض السائحين بعد مركو بولو برحلات برية وقطعوا مسافات طويلة ومن هؤلاء أودريك (Oderick) الذى سافر من البندقية عام ١٣١٦ واخترق فارس والهند والصين وهضبة التبت ورجع إلى بلدة عام ١٣٢٠ .

ابن بطوطة :

ومنهم محمد ابن بطوطة أحد أهالى طنجة وهو أعظم سائحى العرب وقد



(شكل ٤) رحلات ابن بطوطة

فاق مركوبولو في اتساع تخلف رحلاته ولكنه لم يفقه في تنوعها . وقصد
بدأ هذا السائح رحلته في طنجة عام ١٣٢٥ قاصدا الحج الى بيت الله الحرام
بمكة وفي غضون ثلاثين سنة زار فلسطين وبلاد الفرس وأرمينية والقرم
والقسطنطينية وبخارى وبلاد الأبتان والهند ثم عين قاضيا في دهل . ومن
ثم خرج من الهند مع وفد إلى الصين عن طريق البحر مارا بجزيرة
سرفديب . (سيلان) وملديف وسومطره إلى أن وصل إلى مدينة الزيتون .
التي كانت أعظم ثغر بالصين في ذلك الوقت ثم رجع إلى قاليقوط (بالهند)
بهذا الطريق وسافر منها إلى هرمز ثم إلى مكة ثم عاد بعد ذلك إلى طنجة .
سنة ١٣٤٩ . ثم خرج منها إلى اسبانيا ثم بعد ذلك اخترق مراکش
وسافر منها إلى السودان ازاء نهر النيجر الذي زعم أنه النيل إلى أن وصل
إلى تمبكتو ثم رجع إلى فارس سنة ١٣٥٣ وهناك كتب وصف رحلاته

وبعد ذلك بوقت قصير أخذ اتجاه الكشف طريقا آخر . وذلك
لأن الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين أظهرت مقدار اعتماد أوربا
على غلات الشرق . ولكن لما كانت كل الطرق التجارية في شرق
البحر الأبيض المتوسط وعلى شاطئ إفريقيا الشمالي في أيدي المسلمين
اتجهت أنظار الأوربيين إلى البحث عن طريق بحري آخر للحصول على
سلع الشرق التي ألحت الحاجة إليها . ولقد سافرت سفن البندقية وجنوة
إلى شواطئ آسيا الصغرى لجلب البضائع التي كانت ترد إليها بالقوافل
ولكن الضرائب التي فرضها المسلمون عليها كانت فادحة ولذلك اتجهت

النية إلى البحث عن طرق ملاحية أخرى . ولقد أخذت البرتغال على عاتقها هذا الأمر لأنها أزاحت عن كاهلها يد الحكم المغربي سنة ١٢٥٠ واتصلت بإنجلترا وفلنדרز (بلاد الفلمنك) برحلات تجارية بحرية بما كان سببا في تقدمها في الملاحة . هذا إلى أن موقعها (لأنها كانت ملتقى طريق البحر الأبيض المتوسط وطريق الأطلس) جعل لها شأننا يذكر في ذلك .

ولقد وضع الملك جون البرتغالي (١٣٨٣ - ١٤٣٣) أول لبننة في عظمة البرتغال البحرية وكان من أولاده الأمير هنري الملاح التي كانت أعماله أعظم حلقة في سلسلة الحوادث التي جعلت البرتغال أمة بحرية عظيمة . ولقد أنشأ هذا الأمير مدرسة بحرية في قرية شاجر بالقرب من رأس سنت فنسنت واستخدم جاكوم المايورق وهو ذلك الملاح البارع في عمل الخرائط والآلات الصالحة للملاحة كما استخدم الأساتذة من العرب والاسرائيليين في تعليم البرتغاليين . وكانت عاقبة أعماله المثمرة تحسين الخرائط والسفن الكثيره . وفي عام ١٤١٥ سالتولى على مدينة سبته وكانت سوقا تجارية عظيمة للمغاربة وبذلك عرف مقدار التجارة البرية في شمال افريقية . وفي عام ١٤١٨ شرع هنري في إرسال بعثات حول ساحل افريقية الغربى وعرف منذ ذلك الوقت هذا الطريق الموصل إلى الهند بالطريق البرتغالي . وفي سنة ١٤٢٠ كشف أحد أتباعه جزائر مديرة واستولى عليها وفي عام ١٤٣١ كشف آخر جزائر ازور واستعمرتها البرتغال سنة ١٤٣٦ .

وفي زمن الأمير هنري كان ساحل أفريقية الغربي معروفاً حتى رأس بجادور (الرأس البارز) وهو رأس نأىء خلفه شواطئ رملية وحوله تيارات قوية وحاول كثيرون عبده فلم يفلحوا لصعوبة الملاحة على الشاطئ هنالك . ولكثرة الخزعبلات التي ملأت القوم فزعا ورعبا . وكان التغلب عليها أعظم صعوبة لدى الأمير هنري على أن أحد أتباعه اجتاز هذا الرأس سنة ١٤٣٤ ووصل آخر إلى ريودورو التي ظن أنها مصب نهر ؛ ونظرا إلى حدوث أزمات سياسية بالبرتغال وقف تيار الكشف حتى نهاية سنة ١٤٤١ عندما وصل سائح آخر إلى رأس بلانكو (الرأس الأبيض) وفي العام التالي استحضر البرتغاليون ارقاءهم الأولين كما جلبوا الذهب إلى بلادهم . وفي سنة ١٤٤٣ وصلوا إلى خليج أرجوين الذي يبعد عن رأس بلانكو بمقدار ١٢٠ كيلومتر جنوباً . واكتشفوا جزيرة اتخذوها مركزاً للتجارة مع ولايات العبيد وبلاد السنغال وغينيا . وبعد قليل أصبحت هذه الجزيرة سوقاً حافلاً بالتجارة ، ثم وصلوا إلى رأس فرد سنة ١٤٤٣ ورأس بلناس سنة ١٤٤٥ . ولم يكن أحد إذ ذاك يعارض في استرقاق العبيد الوثنيين ، ولبت المغاربة ردحا طويلاً يجلبون السود عن طريق الصحراء ويبيعونهم في تونس ومراكش . وما يؤسف له أن اللاحق في طلب الذهب والرقيق أنسى البرتغاليون الغرض الأساسي الذي ساقوا من أجله والذي كان يرمى إليه أميرهم ؛ ففسدوا الغارات على الأهالي الذين أخذوا يكرهون البرتغاليين واعتقد هؤلاء أنهم إنما يؤخذون لأكلهم . وما يؤسف لي أن تكون هذه أعمال مسيحية

ولكن الأمير هنرى كان يقول أنه إنما يأخذهم لتثقيفهم على أن الأهالى كانوا يمعنون فى القسوة عليهم .

وفى سنة ١٤٤٥ اكتشف رأس النخيل (پلماس) وسمى كذلك لانتشار النخيل حول الرأس وكان حدا فاصلا لإقليم الصحراء . وقد دهش الأهالى لرؤيتهم السفن الشراعية الكبيرة لأنهم لم يروا مثلاً . وقد اعتقد بعضهم أنها حيتان كبيرة وآخرون ظنوها شبحاً أو ظائراً كبيراً . وقد نشأ عن هذا الكشف إرسال بعثة أخرى لفتح أبواب التجارة . ولكشف النيل الغربى إن أمكن فقد زعم الأمير هنرى أنه ليس بعيداً . وسرعان ما أدى البحث عن مجرى ماء عذب وذلك هو ماء نهر السنغال . لكن الأهالى أظهروا عداوتهم وردوا التجار على أعقابهم .

وفى عام ١٤٥٥ سافر ملاح بندقى كان فى خدمة الأمير هنرى إلى جزائر مديره ثم كشف نهر غمبيا واستمر عدة أيام حيال خليج غانه بحيث تجاوز حدود الاستكشافات الجغرافية السابقة .

وفى عام ١٤٦٠ استكشف دياجو جونس رأس فرد وكانت سياحته هذه آخر كشف فى عهد الأمير هنرى ثم صارت جزائر زورز وجزائر فرد قواعد الاستكشافات التالية .

وكانت عاقبة أعمال الامير هنرى ذات أهمية خالدة فقد محا أثر الخزعبلات التى سبق ذكرها وكان أحسن مثال للمستكشفين الآخرين . وكانت عاقبة أعماله الأخيرة كشف طريق بحرى للهند والشرق وانشاء دولة استعمارية أوربية .

الفصل الخامس

برثلئيو دياز — فاسكو دا جاما

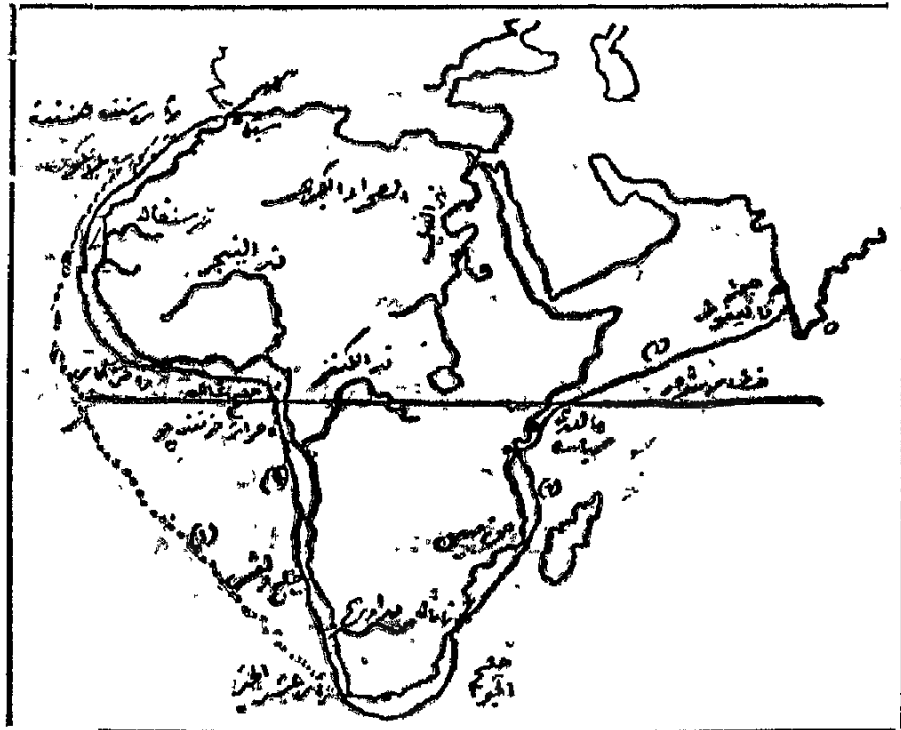
والملاحة حول رأس الرجا الصالح

(Vasco da Gama) (Bartholomew Diaz)

عندما مات الأمير هنري سنة ١٤٦٠ لم يكن قد نفذ غرضه من استكشافه ساحل إفريقيا غير أنه رسم الخطط المستقبلية لذلك وكان على أهبة الاستعداد لمتابعة أعماله ولكن بما يؤسف له (أن ملك البرتغال الذي حكم مدة العشرين السنة التالية لم يكن ميالا لتشجيع الكشف الجغرافي ومناصرته على أنه بالرغم من ذلك فقد تقدم الكشف بعض التقدم . ففي سنة ١٤٦١ أقطع بحار يدعى بدرو داسنترا إلى خليج غانه وسار ٦٠٠ ميل حول شواطئه حتى وصل إلى خليج بنين وفي أثناء سفرته رأى جبال سيراليون (جبال الأسد) وسماها كذلك لأن صوت الرعد على قممها كان يشبه زئير الأسد .

وفي سنة ١٤٧١ أكتشف فرنندبو الجزء الجنوبي من الشاطئ وجزيرة سماها باسمه وفي هذا العام اخترق خط الاستواء ولم يحصل للملاحين شيء مما كانوا يتوهمونه عند عبور هذا الخط الغامض ؛ وأهم ما لوحظ اختلاف النجوم الظاهرة واختفاء النجم القطبي تقريباً تحت الأفق ورؤية الصليب الجنوبي (وهو مجموعة من النجوم)

أما ملك البرتغال الذى تولى الحكم سنة ١٤٨١ فقد كان شغوفا كالأمر
هنرى لمتابعة الكشف واستعمار شاطئ أفريقيا للبرتغال ، فأرسل رؤساء
ملاحيه وأمرهم بوضع صلبان ضخمة فى الجهات الهامة والاستقيلاء على
الأقاليم باسم مملكتهم ، لذلك أقلع ديجوكو (Deogo Coa) سنة ١٤٨٤ حتى
رسا عند مصب نهر السكنفو وهناك نصب صليباً . ولقد سر رئيس القبيلة
المجاور من سلوك البرتغاليين وعاملهم بالحسنى . وفيما بعد عاد كـو ومعه
قسيس ونصر هذا الرئيس فكان أول مسيحي وصل جنوب خط الاستواء وفى
سنة ١٤٨٦ وصل كـو إلى ما يعرف الآن بخليج ولقش ولكنه لم يغامر إلى
جهة أبعد منه وترك لبحار آخر شهير الوصول إلى أقصى جهات القارة جنوباً .



(شكل ٥) طريق الرأس إلى الهند

— فاسكو داجاما —

... دياز

وفي سنة ١٤٨٦ غادر برثليميودياز (Bartholomew Diaz) البرتغال
ومعه ثلاث سفن وكانت مهمته البحث عن أقصى القارة الأفريقية جنوبا
واستكشاف مملكة القس (جون) فسار حذاء الشاطئ حتى وصل
منصب نهر أورنج ولكن الرياح دفعته نحو الشرق . ولما لم يجد أرضا
أمامه سار نحو الشمال حتى وصل إلى خليج موسل سنة ١٤٨٨ ثم اقتفى
أثر الساحل صوب الجنوب إلى أن وصل إلى خليج الجوا (وسمى هذا
الخليج كذلك لأنه كان محطة لسفره فيما بعد أدت إلى إنشاء مستعمرة
جوا على ساحل الهند) ثم وجد أن الساحل يسير شمالا مما جعله يعتقد أنه
طاف حول أفريقية ثم ألح عليه البحارة في العودة فعاد وكشف ذلك الرأس
الذي لم يكن معروفا وقد سمي هذا الرأس الذي زعزعته عنده الرياح
رأس العواصف ، ثم عاد إلى بلاده فهناك الملك على كشفه وأبدل الملك
اسم الرأس برأس عشم الخير تيمنا بأن البرتغاليين سيفتحون الطريق إلى
الهند لطلب ثروتها . وكانت أهم سفرة في تاريخ الكشف الجغرافي إذ
بعث في نفوس الكاشفين الأمل وشجعهم على القيام بالرحلات مدة القرن التالي.
ومما لا شك فيه أن هذا هو الذي حبس كلبس على السفر نحو الغرب
لأنه قام بذهنه أنه إذا كان في استطاعة الناس أن يسافروا صوب الغرب
مسافات طويلة فيمكنهم السفر غربا لاستكشاف أراضي هذه الجهة .
ولقد كان من المفترض طبيعيا أن يعد ملك البرتغال رحلة أخرى
لاتمام العمل الذي قام به دياز ولكن حصل بعض التلكؤ . ومع أن
بعض الجوابة البرتغاليين سافروا إلى بلاد الحبشة حيث كشفوا مملكة

القسيس جون فلم يفسكر في إرسال بعثة كشفية ثانية إلا في سنة ١٤٩٧
إذ قام فاسكودى جاما من البرتغال . وفي هذه الأثناء سافر كلبس صوب
الغرب إلى جزائر الهند الغربية واتجهت الأنظار نحوه وصرفت مؤقتا عن
إفريقية وبما أنه أشيع أنه وصل إلى سواحل الصين فأثار ذلك في نفس
ملك البرتغال حمية إتمام الرحلة حول شواطئ جنوب افريقية فاختار
فاسكودى جاما للقيام بالمهمة واعتبرها مشروعا وطنيا وأقنع الربان بين
أصوات الجماهير وحماستهم فأقنع بثلاث سفن سارت حذاء الشاطئ الغربى
حتى وصل إلى خليج غانة ومن ثم سار صوب الجنوب لأنه قدر أن هذا
يوصله إلى غرضه دون التعرض للمصاعب والأخطار التى لاقاها دياز فى
طريقه . وقد ظل ثلاثة أشهر لم ير فى أثناءها أرضا فثارت عليه البحارة
ولولا صرامته وحزمه لما استطاع أن يحملهم على الاستمرار . وكان البحر
مضطربا كثير الأعاصير والجو باردا . وأخيرا وصل إلى الخليج الصغير
(الجوا) وهناك تمونوا باللحم ومن ثم استمروا فى طريقهم حتى وصل إلى
النقطة التى وصل إليها دياز وهى مصب نهر جريت فش . وفى يوم الميلاد
كشفوا شاطئاً جميلاً سموه ناتال لأن كشفه كان يوافق يوم ميلاد المسيح
وبعد أن استقروا فى خليج فى الشمال (كيمانى) انتشر بينهم المرض
لعدم وجود غذاء طازج ولسكنهم قاوموا المرض وتغلبوا عليه ثم استأنفوا
السير حتى وصلوا إلى موزمبيق ، وهناك التقوا بالسائحين العرب الذين
كانوا يجوبون البحار بين البحر الأحمر وشاطئ الهند الشرقى وقد اضطهد
الملاحون أهالى ممباسا ولكن عند مالدنى فى شمالى هذه الجهة استقبلهم

الحاكم الوطني استقبالا حسنا ومن ثم بدأت آخر رحلة من رحلاتهم .
ولقد أتم هذا الحاكم جاما بدليل سار بالسائحين صوب المحيط الهندي
و بعد عشرين يوما وصلوا إلى ساحل الهند ١٤٩٨ وأثبت بذلك النظرية
التي كان يقول بها الأمير هنري وعمل إلى الوصول إليها وقد رست السفن
على بلدة قاليقوط على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند .

وعندما نزل البرتغاليون إلى الأرض أعلنوا أن مهمتهم البحث عن
المسيحيين ومشتري التوابل ولقد قابلهم الأهالي بأذى الأمر بمقابلة حسنة
ولكنهم ما لبثوا أن أظهروا لهم العداوة والبغضاء مما اضطر جاما إلى السفر
عائدا إلى وطنه . وقد كانت العودة إلى إفريقية طويلة وشاقة وانتشر
المرض بين الملاحين وقضى على عدد عظيم منهم وبعد أن وصل إلى مالندا
اضطر لترك أحد فلكه لأن بها عطبا لا يرجى إصلاحه وسار حول الرأس
بصعوبة ثم تابع رحلته حتى وصل إلى جزائر أزور ثم ألقى عصا التسيار في
مصب خليج نهر تاجه سنة ١٤٩٨ .

وليس هنا مجال البحث في تعدد الأسفار التي قام بها الرحالة
البرتغاليون صوب الهند والشرق مدة خمسين السنة التالية فتمت قامت
أساطيل تجارية كثيرة للتجار مع أهالي الهند الذين كانوا يعاملون معاملة
سيئة وقاسية عند الامتناع عن تبادل السلع معهم .

وأسس البرتغاليون بلدة « جوا » وقاليقوط مركزين للتجارة .
ولقد ظهر البحارة البرتغاليون في جنوب بلاد العرب والخليج الفارسي
بوسيلان ووصلت تجارتهم إلى سومطره وجزائر البهار ، (ملقا) وغزوا

ميلادا كثيرة بأفريقية وتحقق حلم القرن الخامس عشر وتوطدت شهرة البرتغال وصارت مملكة واسعة الثراء عظيمة الجاه .

الفصل السادس

كلبس (Columbus) وكشف الدنيا الجديدة

لقد كانت أعمال الأمير هنرى وغيره ممن جابوا الأقطار البعيدة سببا في إثارة شعور الاهتمام بالكشف ، وكان من نتيجة رحلات البرتغاليين أن تحركت أفئدة الناس للبحث عن أقاليم جديدة أكثر اتساعا ؛ ومن هؤلاء الذين تأثروا بالتقدم الكشفي كرسنر كلبس الذى سنذكر أعماله فيما بعد .

جرى القول بأن كلبس من أهالى جنوا من أعمال إيطاليا . وسواء أصبح هذا الزعم أم لم يصح فما لاشك فيه أنه قضى مبدأ حياته بحساراً فى السفن الجنوبية وأبحر فى هذه السفن من الشاطئ الغربى لأفريقية جنوباً حتى شاطئ آيسلنده شمالاً كما خاض بباب البحر الأبيض المتوسط كله . ولقد حكى عنه أنه قال « أقلمت فى كل سفينة مخترع فى البحار » وقد يصح أن يقال عنه أنه تعلم كل شيء خاص بالملاحة وعرف كل شيء عن العالم حينئذٍ وجمع كل ما أمكنه من المعلومات الجغرافية ، وآراء بعض القدماء عن شكل الأرض وحالتها العامة ، وألم بكتاب ماركوبولو وآراء اليونانيين القدماء

الجغرافية . ولقد أثارته قصص البرتغاليين المستكشفين وزادته شغفا لمنافستهم في هذا الصدد وتمكينه من اختبار نظرياته بنفسه .

جاء إلى البرتغال سنة ١٤٧٠ و بعد فترة وجيزة تزوج من سيدة من أهل مديرا وفي أثناء مكثه في هذه الجزيرة تعلم الكثير من البحارة البرتغاليين الذين قدموا إلى هذه الجزيرة من حين إلى آخر ومن المحتمل أنه في هذه الفترة تحددت آراؤه وأقنع بأنه يستطيع الوصول إلى الشرق إذا سافر غربا لأن الأرض مستديرة كما قال اليونانيون ، وأخذ يفكر في الإشاعات التي سمع بها من وجود كتلة أرضية كبيرة غربي الدنيا القديمة . فلقد تحدث القرطاجنيون عن أتنتالا وذكر أفلاطون وجود قارة أتلانتس في المحيط الغربي وحصل على خريطة تسكانلي الإيطالي الماهر وقد ظهر فيها المحيط الأطلسي ممتداً حتى شواطئ آسيا ورسم خطأ وهمياً يفصل بين أوروبا وأفريقية . وهذه القارة . هذا إلى الأقاصيص عن أشياء قذف بها المحيط إلى الشاطئ من قطع من الأشجار منحوتة نحتاً عجيباً ومن بقايا أجسام بشرية .

ولقد أخذ يغربل هذه المعلومات واستنبط منها وجود أرض في الجزء الغربي من المحيط وأنها مسكونة وأنه من المستطاع الوصول إليها ؛ ومن أجل التأكد من صحة هذه المعلومات قرر القيام برحلة عبر المحيط الأطلسي ولكن النفقة كانت باهظة ولا بد له من الحصول على المساعدة المالية فحاول أن يحصل عليها من مدينة جنوة العظيمة التجارة ولكن أرباب السلطة رفضوا معاونته ففكر في ملك البرتغال وظن أنه قد يساعده رجلا

مثله مثل الأمير هنرى الملاح يرغب فى السفر من أجل الكشف؛ ولكن هذا الملك رفض أن يناصر أى كشف من شأنه التدخل فى أمور المستعمرات البرتغالية غير أن هذا الملك أرسل سفينة كبيرة لتسبق كلبس فى كشفه ولكنها عادت أدراجها بعد سفره غير موفقة . ولقد اتجه كلبس بعد ذلك نحو أسبانيا ولكن الملك فردناند والملكة ايزابلا كانا منكمين فى قتال المغاربة فكونا لجنة لفحص المشروع وهذه قررت أن المشروع عبث ومستحيل ولكن بعض الأشراف أظهر بعض الاهتمام بيد أنهم لم يستطيعوا إقناع الحاكمين بمد يد المعونة لـ كلبس . فأرسل عندئذ أخاه إلى بلاط هنرى السابع ملك إنجلترا وإمكن سفينته أصابها العطب وضاعت الخرائط وتأخرت الرحلة بسبب إعداد خرائط جديدة

وأخيراً وافقت ايزابلا على مد كلبس بالمال اللازم وعينته أميراً للبحر وحاكماً لكل أرض جديدة يكتشفها كما قررت أن يكون له نصيب من الغنائم وأرسلت معه رسائل من ملك اسبانيا إلى الخان العظيم وبرستور جون وكل حكام الشرق الذين يزور بلاطهم . ولا مشاحة فى أن الملكة تأثرت من قول كلبس بأنه سينصّر كل قبائل الشرق . على أنه بالرغم من المساعدة الملكية فإنه لاقى صعوبات عظيمة فى الحصول على بحارة ينحاطرون بحياتهم فى بحار مجهولة . وأخيراً تمكن باستعمال الرشوة والقوة من العثور على بحارة للسفن الثلاث وكان عددهم ١٢٠ ومعهم مئونة تكفيهم ١٣ شهراً .

وفي أغسطس سنة ١٤٩٢ أبحر كلبس من ثغر بالوس Palos ولكنه ما كاد يبدأ رحلته حتى ثار البحارة عليه عند ما أبصروا بركان تينريف في جزائر مديره ، وازداد رعبهم عند ما غابت عنهم معالم الدنيا القديمة فأخذ كلبس يهشء روعهم بإخبارهم عن الثروة التي سيجدونها وأدلى لهم بمعلومات خاطئة عن المسافة التي كانوا يقطعونها يومياً حتى لا يظنوا أنهم ابتعدوا كثير عن أرض بلادهم وسرعان ما اجتازوا بحر سارجوسا ، وهو جزء من المحيط الأطلسي كثير الأعشاب ، فقرروا في بادئ أمرهم ظناً منهم أنهم اقتربوا من الأرض ؛ ثم أنهم كانوا يرون أحيانا طيوراً فيطمتثنون لمصيرهم ، ولكن الرياح التجارية كانت دفعهم نحو الغرب فخافوا من أنهم قد لا يستطيعون العودة إلى بلادهم فهاجو وماجوا ولولا مثابرة كلبس وحذره لثاروا عليه وأرغموه على الكف عن مخاطرته ، على أنه بعد وقت قصير وجد نوعاً من الطحلب مما ينمو في الأنهار ورأى سمكا أخضر مما يعيش بين الصخور ، وأغصانا بها ثمر العليق فصلت حديثاً من أشجارها : كل هذه وغيرها من أمارات الأرض ملأت نفوسهم طمأنينة وهدأت من روعهم حتى أبصر كلبس بنفسه « مساء ذات ليلة ضوءاً باهراً على مسافة بعيدة فطلب إلى غيره من التجار أن يبصروه وكان هذا الضوء منبعثاً من مشعل مما يحمله صيادوا السمك يرتفع ويخبو مع الموج ، وفي الساعة الثانية صباحاً ظهرت الأرض فتوقفت

السفن عن السير حتى الفجر ، واقد سر كلبس لأن أحلامه أخذت تتحقق
ودب في نفسه الرجاء والأمل .

وفي صباح اليوم التالي (الثاني عشر من أكتوبر سنة ١٤٩٢) ظهرت
جزيرة جميلة هي جزيرة سن سلفادور (أو وتنج من جزائر البهاما)
فاغرو رقت عيننا كلبس ورجاله بالدموع فرحا وسجدوا لله شكراً على نجاحهم
واستولوا على الجزيرة باسم ملك أسبانيا . ولقد أخذ الفزع والروع من
الأهالى كل مأخذ بادی بدء على أنهم ما لبثوا أن استردوا شجاعتهم عندما
آنسوا من البحارة اللطف ، وأخذوا يتأملون في سلاحهم اللامعة وملا بسهم
الفخمة وقايضوهم بقبعات حمراء وعقود من الخرز ببغاوات وسهام وخيوط
فضية . وسمع كلبس من الأهالى أن الذهب موجود في كيو بنكان
Cubancan ولما كان متشبعا بالرأى أنه ليس بعيداً عن شاطئ آسيا فظن أن
هذا إشارة إلى مقر قبلاى خان فصمم على الابحار إلى هذه الجهة فوصل إلى
كوبا وقد ظنها بادیء الأمر أنها بلاد اليابان وانه وصل إلى آسيا ، فسار
إزاء سواحلها وأرسل بعثة إلى داخلها فاحتفى بها الأهالى ورحبوا بها أيما
ترحيب ثم رأوا الأهالى يدخنون أوراق شجرة مجففة ملفوفة يسمونها
تاباكوس وهى الدخان المعروف ، ورأوا الذرة والقطن . ولكن كلبس
كان وراء شيء أثنى يأخذه ليقدمه لعاهل أسبانيا دليلاً على نجاحه ولذلك
واصل رحلته حتى وصل إلى جزيرة هاييتى ولما كانت لاسبانيا
أسماءها هسبنيولا .

ولقد وجد الأهالى حيثما حل على جانب عظيم من الوداعة ولطف

المعاشرة ولكنه لم يجد ذهباً . وثبط من عزمه وهمته عطب أصاب أحد سفنه فنزل بحارتها في الجزيرة للبحث عن الذهب والحصول على معلومات أخرى يدلون بها عند العودة إلى أسبانيا ، وهجرته سفينة أخرى وذهب بحارتها للبحث عن الذهب ولم يعودوا إلا عند العودة إلى أرض الوطن :

وفي الرابع من يناير سنة ١٤٩٣ أبحر كلمبس إلى بلاده فصادف زعازع وأعاصير في الفترة الأخيرة من رحلته قبل وصوله إلى جزائر ازور فاستراح قليلاً بهذه الجزائر وشكر هو والبحارة الله على نجاتهم . ولكن لما كان السكان من البرتغاليين المعادين للأسبان فأسرع للفرار منهم وبعد رحلة شاقة وصل إلى مصب نهر التاجه فقابله ملك البرتغال بالترحاب ولكنه تأثر من الفرصة التي ضاعت عليه وأخيراً بعد رحلة استغرقت حوالي سبعة شهور ونصف وصل إلى ثغر بأس ثانية وقد سر الأهالي بقدومه سروراً عظيماً وأعجبوا من الغلات التي جلبها البحارة معهم .

البفصئل السابف

مرفلات كلمبس الفالفة وفسبوتشى (VESPUCCI)

وكبرال (CABRAL) وبلبو (BALBOA)

بعء أن قفى كلمبس وقتا قصفرا فى بالس واشبفلفة طلب إلفه أن فذهب إلى البلاط الملكف بفرفلونه ، ذلك لأن أأبار كشفه ملاء العاهلفن سرورا ودهشة . فأمر أن فستعد لسفرة أخرى لفوطء ءعائف الملك فى البلاد الفف كشففا . نعم أن القوم ظنوا أن هءه الأراضف الفءفءة من أملاك الخان العظفم ولـكنهم كانوا فرون من حقهم الاستفلاء على أراضف ففر المسفففففن لفنصروا أهلها ، وءفعا للشك طلب من البابا أن فرخص بما طلبته أسباففا وقءبى الأمر لأنه كان فنظر إلى ملك أسباففا وملكفها كأهماف عماء النصراففة ، ولـكى فمنع الاشتباك مع البرتغال فى القتال أصدر أمرا فى ماوسنة ١٤٩٣ بأن البلاد الفف تقع شرق خط وهمى من القطب الشمالى إلى القطب الففوفبى وعلى بعء ١٠٠ فرسخ غربى جزائر ازور وجزائر فرد فكون ملكا للأسبان وتلك الفف تقع فى شرق هءا الخط فكون ملكا للبرتغال ولولم ففر هءا الخط ففما بعء لاستولت أسباففا على أمرفكا بأسرها واستولت البرتغال على مالفزفا وباربوا واستراففا ولكن البرتغال عارضت فى ذلك فءءل البابا سنة ١٤٩٤ موضع هءا الخط وجعله على بعء ٢٨٠ فرسخا غربى جزائر فرد .

وفي السفرة الثانية أعد كلبس أسطولا أكبر من اثنتي عشر سفينة
وبعض سفن صغيرة وكان عدد رجاله ١٥٠٠ من بينهم صناع مهرة
ومبشرون وكان مع رجاله بذور وآلات زراعية . ولقد ألقع الأسطول في
٢٥ سبتمبر سنة ١٤٩٣ وكان الجو ملائما والرحلة موفقة ووصل إلى جزيرة
أسمها دمنيك وأخيرا وصل إلى هسبنيولا ثانية ولكنه وجد أن الحامية
التي تركها بها قد أبيدت عن آخرها بسبب مناوأتهم الأهالي وكرهم لهم
فأنزل حامية أخرى بهذه الجزيرة للبحث عن الذهب ولكنها باءت
بالفشل . أما كلبس فسار للبحث عن أرض جديدة وكشف جزيرة
جنيكا ثم عاد للحامية واستعمل القسوة في حكمه المستعمرة التي أسسها فبالج
أعداؤه في إشاعة قسوته واستعمل هؤلاء نفوذهم عند الملك والملسكة فعاد
إلى اسبانيا تاركا أخاه ليحل محله في الحكم .

وفي سنة ١٤٩٨ رخص له بالسفر مرة ثالثة فقسم سفنه قسمين وأرسل
قسما منها مباشرة إلى هسبنيولا والقسم الآخر سار صوب الجنوب على أمل
كشف أرض جديدة ؛ وكان الجو شديد الحرارة وطالت الرحلة وكاد
الماء يغيض والقوت ينفد ولكن أحد البحارة أبصر جبلا مرتفعة فتشجع
الرجال واستمعروا وما لبثوا أن وصلوا إلى جزيرة أسمها كلبس ترنيداد
ولقد وجد بالجزيرة حقولا نضرة وحدائق غلبا ذكرته بحدائق بلنسية على
أن الرحلة استمرت حتى وصلت إلى شاطئ أمريكا الجنوبية ولكنه ظنه
مجموعة جزائر أخرى كبيرة ومر على خليج أرنوكو وأدهشته كمية المياه

العذبة المتدفقة في البحر عنده ثم عاد إلى هسبنيولا مقتنعا بأنه كان بالقرب من قارة عظيمة .

وعند ما وصل إلى هسبنيولا وجد نيران الثورة مشتعله بين المستعمرين وقد قضى أشهرا في استتباب النظام وقد رجع من هؤلاء ما لم يرقه طريقته في الحكم . وفي سنة ١٥٠٠ استصدر أعداؤه أمرا بإرجاعه إلى اسبانيا مكملا بالسلاسل ثم أفرج عنه ، وفي سنة ١٥٠٢ سمح له الملك والمملكة بأن يقوم بسفرة رابعة يبحث فيها عن طريق بحري لمستعمرات البرتغال في آسيا . وفي أثناء طريقه زار كثيرا من الجزائر التي كشفها من قبل وقد سافر صوب الشرق وكشف هندوراس . ولقد أدهشته أمارات الحضارة البادية بين السكان فكانوا يستعملون فتوسا من النحاس وأواني خزفية حسنة الصنع وعباءات من القطن وكميات كبيرة من بذور الكاكاو التي كانوا يقيتونها بها ويستعملونها واسطة للتعامل . ولقد سار كلبس حذاء الشاطئ حتى وصل درين ولكن لم يكتشف الثغرة التي كان يريدتها . وعند ما عاد إلى كوبا صادف متاعب أخرى وفي سنة ١٥٠٤ عاد إلى أسبانيا وقد وجد أن مناصرته للمملكة ايزابلا قد قضى نحبها فقضى البساقية من حياته فقيرا معدما ومات سنة ١٥٠٦ .

وبعد سفرة كلبس الثالثة قام كثير من الأسبان بإضافة تفاصيل كثيرة عن جزائر الهند الغربية ولم ينقض وقت طويل حتى تكشفت أن الأرض التي نزل إليها كلبس كانت في الواقع الدنيا الجديدة وليست آسيا . ومن هؤلاء الكاشفين شخص يدعى أمريجو فسبوشي : ففي سنة

١٤٩٧ — ١٤٩٨ سار جنوباً حذاء شاطئ أمريكا الجنوبي ثم شمالاً
إزاء الشاطئ الشرقى لأرض تسمى الآن الولايات المتحدة وفى السنة التالية
سافر صوب الغرب ووصل إلى شاطئ البرازيل . وفى السنة التالية سافر
برتغالى آخر يدعى كبرال إلى الشرق فدفعته الرياح التجارية إلى المحيط
الأطلسى ووصل إلى شاطئ البرازيل واستولى عليها باسم البرتغال . ثم
دخل فسوشى فى خدمة البرتغال وفى سنة ١٥٠١ — ١٥٠٢ كشف شاطئ
أمريكا الجنوبي ووصل إلى نقطة تبعد شمالاً عن رأس هرن بنحو ١٥٠٠
ميل ومن ثم ظهرت ضخامة القارة الجنوبية الجديدة ولو أن شاطئها الغربى
لم يكشف بعد . وقد أثار وصف فسبوشى رحلته اهتماماً عظيماً حتى قال أحد
الكتاب : بل أن أمريجو فسبوشى كشف ربع الدنيا الجديدة فيجب أن
تحمل اسمه وعلى كرات الأرض إطلاق هذا الأسم على الدنيا الجديد ، ولو أنه
فى ذلك الوقت لم يدر بخلد القوم أنها كتلة أرضية واحدة .

ولقد حاول الأسبانيون مراراً أن يستعمروا أمريكا الوسطى ولسكنهم
فشلوا لسوء إدارة قوادهم وللأمراض المتفشية بها وعند مارجع الأحياء
من إحدى التجريدات إلى هسبنيولا حملوا على العودة . وقد وجد من
العائدين رجل اختبأ فى أحد البراميل بين حمولة المركب وكان مدنياً أراد
الهروب من مدينته . وكان هذا المفلس هو بلباو الذى ظهر فيما بعد أنه
الرجل الوحيد الذى أظهر كفاءة فى استعمار الأرض الأصلية . وعند
ما كشف أمر بلباو استشاط الربان غضباً وصمم على تركه فى الجزيرة لولا
تدخل البحارة . وعند ما نزل البحارة إلى برزخ درين (بناما) كان بلباو

الفصل الثامن

آل كابوت (The Cabots) ومبدأ البحث

عن الممر الشمالى الغربى

عندما وصلت أنباء سفرات كلبس إلى إنجلترا لم يكن هناك رجل انجليزى أكثر أسفا من هنرى السابع لأنه لم ينتهز فرصة مساعدة ذلك البحار العظيم . ومن ثم كان سبب تحمسه لمساعدة بحار من أهل جنوه يدعى جون كابوت ، وكان من تجار البندقية ولكنه استقر به المقام مع أسرته فى برستل مدة حكم ادوارد الرابع . وعند ما كان فى خدمة التجار البنادقة على شاطئ بحر المشرق اتصل بالتجار الذين كانوا يرتادون شواطئ آسيا الصغرى وسوريا للحصول على غلات الشرق الغنية ، واستعلم منهم عن مصادر بضائعهم ولكنه كانوا يجيبونه بأنه تناولتها أيد كثير قبل أن تصلهم من الشرق الأقصى . ولما كان كابوت ماهرا فى معرفة الخرائط والمصورات المعلومة فى تلك الأيام وكان يؤمن باستدارة الأرض صمم على أن ينتهز الفرصة عند ما تسنح له للوصول إلى شاطئ آسيا عن طريق شمالى المحيط الأطلنطى . ولقد كان يعلم أن إنجلترا لا تستطيع الاستغناء عن الشرق وثروته واستشف أخلاق هنرى السابع واعتقد أنه على تمام الاستعداد لمساعدة للحصول على هذه الثروة . وكان كابوت يعلم أنه لو استطاع أن يجد

طريقا إلى الشرق مباشرة لاقتصد المشاق الكثيرة من نقل هذه العلات بالسفن والقوافل و بذلك تنقص قيمة نقل هذه البضائع الانجليزية ، لذلك حُلب إلى الملك مساعدته في تنفيذ مشروعه فاجابه إلى طلبه وأصدر مرسوما بذلك في سنة ١٤٩٦ . وقد نص هذا المرسوم على الترخيص إلى كابت وأمرته بأن يسافروا في كل الجهات والأقطار والبحار شرقا وغربا وشمالا للبحث عن أقاليم لم تكشف بعد ، ولم ينص في الخطاب شيء عن الجنوب ، لأن هنري لم يكن يرى من المناسب أن يتدخل في الأرض التي كان المفهوم أنها من اختصاص الأسبان والبرتغاليين .

ورخص لآل كابت باستعمار الأرض التي لم تكشف من قبل باسم الملك وكل الثروة التي يحصل عليها يكون خمسها الملك انجلترا والباقي لهم . على أن يعفوا من ضرائب الموانئ الانجليزية التي تجبى عادة من التجار . وكل من يريد الاتجار مع الأرض التي لم تكشف يجب أن يطلب الترخيص من آل كابت

ولقد بدأت السفرة سنة ١٤٩٧ في سفينة صغيرة بها ١٨ بحاراً . وقد أقبل الكاشف من جنوبي ايرلنده في الأطلنطي متجها صوب الشمال ، وعندما وصل إلى خط عرض معلوم اتجه صوب الغرب ، ولا يعرف المكان بالضبط من أمريكا التي رست عنده سفنه ، ومن المحتمل أن يكون بمقربة من رأس برتن في خليج سنت لورنس ، ثم ارتاد بعد ذلك عدة أميال من الساحل ، وأدهشته كثرة الأسماك في هذه الجهات ووجد آثار العمران .

ولكن لما كان رجاله قليلين وقلت مئونته اضطر للعودة ووصل برستل بعد مضي ثلاثة شهور .

ومما لاشك فيه أنه كان يقصد برحاته مجرد استطلاع مبدئي ، كما أنه لامراء في أنه اعتقد بأنه وصل إلى شاطئ آسيا . ولقد سر الملك هنري من تقريره ومنحه هبة من المال وقدر له معاشا سنويا . وفي أثناء ذلك أخذ يعد العدة للقيام برحلة أخرى وأغرى الكثير من الرجال للانضمام اليه .

وفي الرحلة الثانية قام كابت بعدة سفن محملة بمختلف البضائع الانجليزية . وكان همه العثور على سيبانجو (أو اليابان) التي وصفها ماركو پولو والعثور على منبع ثروة الشرق فقام في مايو سنة ١٤٩٨ ولكنه لم يعلم شيء على التحقيق عما حصل في هذه الرحلة . على أن مما لاشك فيه أنه وصل إلى الشاطئ الأمريكي وسار صوب الجنوب بحذاء الساحل على وصول إلى سيبانجو التي يعرف أنها في العروض الدفيئة . ولما مرت الأيام تلو الأيام عرف كابت أن الساحل الذي يسير بحذائه ليس في آسيا بل حافة قارة جديدة . ولما فقد الأمل في العثور على طريق يجتاز منه هذه القارة عاد ولم ينصره الملك لأنه استاء منه لعدم عثوره على أرض الشرق . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الملك لم يرغب في إثارة مشا كل مع الأسبان الذين رأى أن يحفظ الود بينه وبينهم والذين غضبوا من أى اعتداء على أراض . أدعوها لأنفسهم . على أن كابت أدى خدمات عظيمة لانجلترا وكان بدون شك أول أوربي زار شواطئ أمريكا الشمالية بعد زمن الفيكنج .

وكان لجون كابت ولد يدعى سبستيان وقد سافر سنة ١٤٩٩ سائرا في طريق والده ولكنه لسوء الحظ كان ولدا مغرورا ولم نزد المعلومات التي أدلى بها عن معلومات والده وعلم فيما بعد أن بعض التفاصيل التي زادها كانت غير صحيحة . ويخيل اليما أنه سافر ومعه سفينتان بهما ٣٠٠ بحار وعند ما وصل إلى أمريكا اتجه صوب الشمال ووجدا كتلا ثلجيا عظيمة الحجم طافية على الماء ، ووجد أرضا أذابت حرارة الشمس في يوليو الثلج من فوقها . وكان الكاشف يبحث عن طريق شمالي أمريكا إلى كاثاي . ولكن صعوبة إيجاد طريق بين الثلج وتمرد البحارة اضطره لتغيير طريقه فاتجه صوب الجنوب وسار حتى وصل إلى الساحل الذي سمى فيما بعد فرجنيا ، ويظن البعض أنه وصل فلوريدا . ومهما يكن الحال فأن رحلته كانت لها قيمتها لأن اعتقاده بوجود البحر الشمالي الغربي كان رأيا أتبعه غيره وكان أساسا لعمل المسكتشفين المتأخرين مثل فوبشر ودبفس وهدسن . هذا إلى أن سياحاته وسياحات والده كانت أساسا لحق انجلمته فيما بعد في الأراضي الشرقية لشاطئ أمريكا الشمالية قبل أن ترسل حكومة أسبانيا ملاحيا من جزائر الهند الغربية إلى الشمال ليسبقوا الانجليز للسيطرة على أمريكا الشمالية .

الفصل التاسع

فِرْدِنَنْد مَجَلان وأول سفرة حول الدنيا

خطط خلفاء كلبس شاطيء البرازيل ، واستعمر الألمان برزخ بنما ، وتمكن أسباني من رؤية المحيط الهادى العظيم . وتسائل القوم عما إذا كان فى الاستطاعة الوصول إلى هذا المحيط بكشف مجرى مائى يصل ما بينه وبين المحيط الأطلسى . ولقد كان لمجلان الفضل الأول فى كشف هذا المحرى .

ولد مجلان بالبرتغال سنة ١٤٨٠ من أسرة عريقه وفى سن مبكرة استخدمته الملكة وصيفا لها ، ودخل فيما بعد فى خدمة الملك منويل ، وكان هذا الملك هو الذى أرسل فاسكو داجاما فى رحلته الموقفة نحو الشرق وقد أرسله الملك بعد ذلك فى رحلات كثيرة واحدة فى أثر الأخرى . فبعث ذلك شعور قوى بين الخطاطرين للسفر لكشف أراضى جديدة ومن بين هؤلاء كان مجلان : وفى سنه ١٥٠٤ انضم إلى ذلك المدا الذى عين نائباً للملك فى المستعمرات الجديدة فسار الأسطول وساح حول رأس الرجا الصالح ثم حول شاطيء أفريقيا الشرقى ثم عبر المحيط الهندى إلى جنوبى الهند وفى سنة ١٥٠٩ سار إلى سومطرة وجزائر الملقا ثم رجع ثانية إلى الهند ودخل فى خدمة ألبوكرك حاكم الهند . وفى سنة ١٥١١ قام برحلة أخرى وهو على رأسها إلى ملقا وليس من المؤكد إذا كان قد

وصل إلى جزائر البهار . وفي سنة ١٥١٢ عاد إلى البرتغال ولكن لم يستقر به المقام إذ اشترك في حرب على المغاربة ولكنه اتهم بعد قليل بالاتجار معهم مع مخالفة هذا للقوانين الموضوعة . وكان ذلك سبب نزاعه مع الملك ، وقد بدأ منذ ذلك الحين التحول في خطته . وكان قد عمل فكره طويلا في إمكان الوصول إلى جزائر الملقا إذا ما سافر صوب الغرب في المحيط الأطلسي للعشور على مضيق يوصله إلى المحيط الهادى . فقدم مشروعه إلى ملك البرتغال ولكنه رفض الاصفاء اليه فحذا حذو كلبس من قبله ودخل في خدمة ملك أسبانيا شارلوس الخامس وتقدم اليه بمشروعه . وفي سنة ١٥١٨ بعد تأخير طويل اتفق معه على أن يملكه بخمس سفن و ١٣٥ بحارا ومثونة تكفيهم سنتين على أن تحاول البعثة ارتياد أراضى تملكها البرتغال ، وأن يستولى بجلان ورفاقه على جزء من عشرين من الأرباح ونصيب من التجارة مع الموانى الجديدة وأن يكونوا حكاما للأقاليم الجديدة . وأخيرا أعدت السفن مع تعليمات وثيقة من مقتضاها أن تكون كل السفن متصلة ببعضها بعض في أثناء الرحلة . وكان البحارة خليطا من أمم مختلفة من بينهم الأسبان والبرتغاليين والألمان والفرنسيين واليونانيين والمالايين والمبيد ورجل انجليزى واحد ..

وقد بدأوا رحلتهم ولكن الكثير من هؤلاء البحارة وعدوا أعداء بجلان بأن يخرجوا عليه بعد قليل من الرحلة . وفي سنة ١٥١٩ غادر شاطئ أسبانيا وابتدأت الرحلة العظيمة . وقبل أن يبرح بجلان كتب وصيته وسلم لملك أسبانيا تقريرا عما ينوى القيام به وقد بين في هذا التقرير الخط الذى

يفصل أملاك أسبانيا والبرتغال في جزائر الهند الشرقية لأن الخط الذي،
عينه البابا لم يبين ماذا تكون الحال لو اجتمع الأسبان والبرتغال في الجانب
الآخر من الكرة الأرضية . وقد أمّل مجلان أن يرهّن أن جزائر ملقا
تكون ملكاً لملك أسبانيا . وسارت السفينة التي عقد له لواؤها من أسبانيا
وتبعها سائر الأسطول إلى تيزيف ومن ثم أبحر الفلك صوب الجنوب الغربي
عبر المحيط الاطلنطي . وكان الجو مكفهرًا وعصفت الزعازع والأعاصير .
فبكى البحارة حتى إذا ما دب اليأس في نفوسهم أرشدتهم العناية الربانية .
وأضاءت لهم سبيل الخلاص ووصلوا إلى شاطئ أمريكا الجنوبية بالقرب
من مدينة برنمبوكو (الجديدة) وصار الفلك صوب الجنوب الغربي .
بحذاء الشاطئ . رغبة في الوصول إلى الجرى المائي الذي كان يعتقد مجلان
بوجوده وكان في مكنتهم مدة ما للحصول على الفواكه الطازجة وغيرها من
المثونة من سكان الشاطئ . وأخيراً في سنة ١٥٠٢ وصلوا إلى مصب نهر
دي لا پلاتا وقد ظنوه الجرى المائي المنتظر ولكن بعد بحث قليل اتضح
لهم أن الرأي خاطئ . فاتجه الأسطول صوب الجنوب في جو مكفهر عاصف .
حتى إذا ما وصلوا إلى خط عرض $٤٩\frac{1}{٢}$ جنوباً رسا في خليج سنّت .
جوليان . وقد كان البحارة بالسفن الأخرى منذ مبدأ رحلتهم يهددون
بشق عصا الطاعة على ربانهم لأنهم كانوا يخشون أخطار الرحلة
ولكن مجلان المملوء حمية وشجاعة وعزماً لم يأبه بهم وأخيراً شبت الثورة .
في يوم عيد الفصح فاحتل إثنان من ربان سفينتيه سفينة أخرى وحبسوا
ربانها ، فأرسل مجلان أحد ضباطه ودمه بعض البحارة إلى السفينة التي .

بها رؤساء الثوار فقتل أحد الضباط الثائرين وهكذا قضى مجلان بسرعة على الثورة ، ولقد قضت السفن شهرين في سنت جوليان لم تر في أثناءهما أية إمارة للحياة على شواطئ بتاجونيا الجرداء . وفي إحدى الأيام رأوا رجلا طويل القامة ضخيم الجثة يرقص ويحشو الزى على رأسه فاستطاع مجلان أن يقنع هذا الرجل على الذهاب معه إلى سفينته (ولقد بلغ من طول قامته هذا الرجل أن الرجل العاды يصل حتى وسطه ، وكان وجهه عريضا مغطى بطلاء أحمر وعيناه مطليتان باللون الأصفر ورسم على صدره صورة لقلبين . وقد ارتدى لباسا من جلود الحيوان مخيطة بعضها مع بعض حياطة متقنة) .

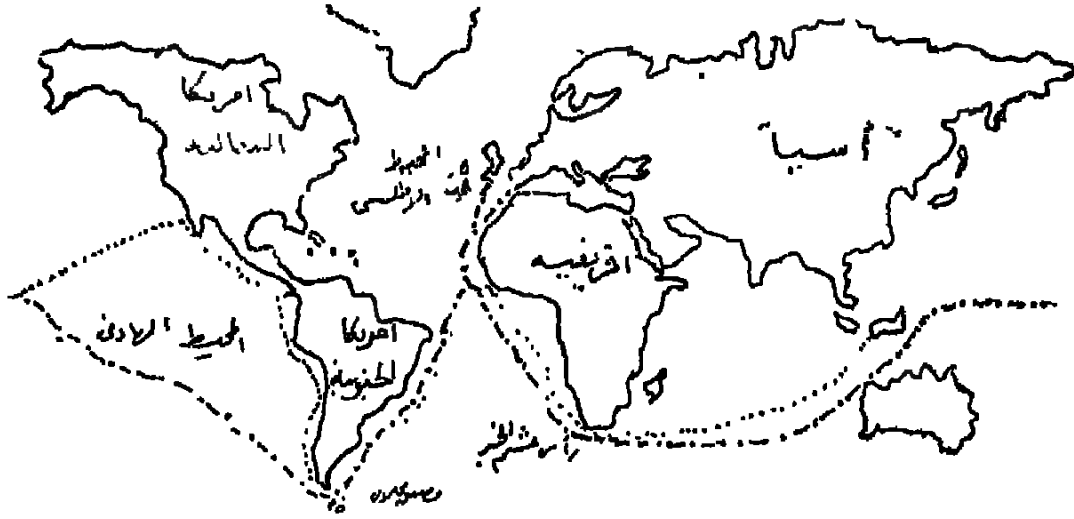
وعند حلول فصل الربيع أرسل مجلان سراًو (Cerrao) أحد زملائه الخالصين في السفينة للبحث عن الممر الجنوبي فوجد مصباً متسعاً لنهر فصرفت بعضاً من وقته في صيد عجول البحر ، ولكن قامت زوبعة أتت على سفينته واستهدف لخطر عظيم لولا أن أحد البحارة استطاع أن يبحر به على رمث إلى مجلان الذي جاء ونجّاهم من موت محقق . وقبل أن يبحر مجلان من سنت جوليان في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٢٠ ترك ثائرين على الشاطئ بعد أن قتل رئيس المصابة . وقد أعطاها بعض الزاد ولكن لم يسمع عنهما شيء فيما بعد ولولا حزم مجلان هذا ما استطاع أن يلم شعثه ويحسن قيادة رجاله .

وفي ٢١ أكتوبر وصل الرحالة إلى الجرى المائى الذى كان يبحث عنه ولكن اجتيازه كان صعباً لأنه كان كثير التعرج . وفي مبدأ الرحلة

أخذ بعض البحارة يتذمر ويضيق ذرعاً بالعمل ، ونكصت إحدى السفن على عقبيها وعادت أدراجها إلى أسبانيا . وكان تحف بالشاطئ ، جبال مرتفعة وجبال تنزلق منها كتل ثلجية على الجوانب ، وفي سفوحها الجنوبية أرض بلقع كانت عليها نيران مشتعلة ولذلك سميت تيّيرا دلفويجو (أرض النار) .

وفي ٢٨ نوفمبر وصل البحارة إلى المنفذ الغربي للمضيق ودخلت السفن البحر الجنوبي الذي أطل عليه يلبّوا من قبل ، ثم أقامت السفن صوب الشمال والشمال الشرقي وأخذت تجوب البحار ثلاثة أشهر أو أربعة بدون أن تصادف من الأرض إلا جزيرتين جرداوين ، وطبعاً لم يكن لدى البحارة علم بطول الرحلة أمامهم وكلما طالت ازدادت متاعبهم . وكانوا يأكلون البسكويت الذي أصبح دقيقاً ، أكل الدود قوامه ، وحتى أكلوا الجلود التي كانت مستعملة حبالاً للسفينة ، وأكلوا نشارة الخشب والفيران التي دفعوا ثمنها غالياً لها وانتشر المرض بينهم ومات أكثرهم وبعد ٩٩ يوماً وصل مجلان إلى جزائر لاردون وكان سكانها فقراء ولسكنهم أذكىاء ولصوص . ولذلك سميت جزائر اللصوص . ثم وصلت السفينة إلى إحدى جزائر الفليبين وصرفت وقتاً في ارتياد هذه الجزائر . وقد ظهر السكان بمظهر الصداقة وتنصر الكثير منهم غير أنه لسوء الحظ نشبت معركة بين أتباع مجلان وأحد الملوك الوطنيين فقتل فيها مجلان وقد حزن البحارة لفقد قائدهم الذين كانوا يحبونه ويعجبون من شجاعته وقد حرم مجلان من إكمال رحلته حول العالم . واستمرت سفينتان من فلك إلى جزائر التوابل فاستولى البرتغاليون

على إحداها واستمرت السفينة الأخرى وبها ربع بحارتها في رحلتها حول
أفريقية حتى وصلت إلى وطنها . وكانت الرحلة شاقة وطويلة وخطرة
فالرياح كانت تعاكسهم في البحر وكانت تصطبغ أمواجه وانتشر



المرض بينهم وضايقتهم طول الرحلة الذي وقد اضطروا أخيراً إلى أن يرسوا
بسفينتهم في جزائر رأس فرد التي كانت ملكاً لخصوصهم البرتغاليين الذين
أسروا البحارة ولم يفرجوا إلا عن ثمانية عشر وصلوا أحياء إلى أسبانيا
لينبئوا أهلها بأهم عمل في تاريخ الكشف الجغرافي .

الفصل العاشر

(كورتيس Cortes وكشف مكسيكو)

عند ما كان مجلان يعد العدة ويتأهب لخوض غمار المحيط الهادى كانت البعثات الأسبانية تقوم فى أثر بعضها بعض من كوبا إلى سواحل أمريكا الوسطى والمكسيك . فلقد كشفت فلوريدا سنة ١٥١٣ وكانوا يعتقدون أن أرضها قريبة جداً من أرض الخان العظيم ، وأن الأسبان إذا ارتادوا الأراضى وراءها سيصلون إلى أرض هذا العاهل العظيم .

ففى سنة ١٥١٧ حلّ قرطبة (Cordova) وهو أحد أتباع كلبس بساحل يوكاتان وأدهشه كما أدهش كلبس من قبله رقى الحضارة وأماراتها بين الأهلىن ، على أنه عندما حاول النزول إلى البر قاومه الأهالى ووقفوا فى وجهه سداً منيعاً فعاد أدراجه إلى كوبا . وفى رحلة أخرى بعد ذلك بوقت قصير استطاع أن يكشف جزءاً من الساحل . ولكن كان لكورتيس (Cortes) الفضل فى إياطة اللثام للعالم عن عجائب المكسيك . وكان كورتيس هذا كاشفاً أسبانيا وجنديا وقد ولد فى سنة ١٤٨٥ أى السنة السابقة لرحلة دياز حول رأس الرجاء الصالح . وكان قد عزم على دراسة القانون ولكنه سرعان ما أبدى رغبته فى حياة النشاط والمخاطرة :

ففى سنة ١٥٠٤ قام إلى هسبنيولا واشترك فيما بعد فى غزو كوبا نهائياً وهذه مع هسبنيولا وجميعاً كانت كل مستعمرات أسبانيا فى الدنيا الجديدة فى ذلك الوقت . وفى سنة ١٥١٩ صحت النية على إرسال تجريدة تحت قيادته

إلى يوكوتان لا نقاذ بعض أسرى الأسبان هناك ومحاولة إنشاء مستعمراً فيها . على أنه قبل القيام بحملته تشاجر مع حاكم كوبا وترك الجزيرة معتقدة أنه إذا عاد إليها فاشلاً كان نصيبه الفضيحة وقد يكون الموت . وعندما نزل إلى يوكوتان قاتل الأهالي واستسلمت له المستعمرة . وبعد أربعة أيام وصلت سفينة مياهن جوان د'ألوا San goen de Allua ساحل المكسيك فجاء إليه بعض الأهالي في قواربهم وسألوه عما إذا كان يزعم الإقامة مع رجاله بأرضهم فأخبرهم بأنه سينزل مع رجاله إلى البر . وعندما نزلوا ساعدتهم الأهالي على إقامة معسكر لهم على الشاطئ وأظهروا لهم كل أمارات الود ، وعما قليل جاءهم سفير من منتزوما Montezuma ملك الاقليم العظيم الذي كان يقطن العاصمة على الهضبة . وقد دهش السفراء عندما علموا أن كرتيس قادم من أقوى ملوك الأرض ، على أنهم قدموا للأسبانيين عبايات مصنوعة من القطن وبعض المنسوجات الدقيقة ، وحلى من الذهب ، وقدم لهم كرتيس أريكة وبعض حلى من حب الزجاج ، واستعرض أمامهم فروسية جنوده ، وإطلاق المدافع ، ودهش الأسبان عندما رأوا السفراء المكسيكيين مشغلين برسم المناظر التي رأوها .

وأخيراً سافر هؤلاء لأخبار ملكهم بما رأوا واستطلاع رأيه في طلب الأسبان مقابلته . ولما كان منتزوما (الذي كان يحترمه الأهالي) جباناً بطبيعته خشى أن يحضر الغرباء إلى وطنه . وكان يعتقد كغيره من سائر أتباعه أن كرتيس ما هو إلا إله يقطن أرضهم وهجرها للذهاب شرقاً معلناً لهم أنه سيعود إليهم مرة ثانية فزاد الملك في هداياه إلى الأسبان وأرسل إليهم فيما

أرسل شمساً مصنوعة من الذهب محلاة بزينة فاخرة ، وقرأ أكبر من الفضة وطلب إلى السفراء أن يقنعوا الأسبان بأن الطريق وعراً ولا يمكنهم اجتيازه . ولكن كرتيس لم يكن بالرجل الذي يثنيه ذلك عن عزمه هذا إلى أنه اعتقد من الهدايا التي وصلت إليه أن الاقليم عظيم الغنى والثروة ، وصمم على زيارة العاصمة . ولقد أخذ رجاله يثنونه من عزمه ويحضونه على العودة إلى كوبا ولكنه أقنعهم بالعدول عن رأيهم . هذا إلى أن الهنود القاطنين على الساحل شكوا إلى كرتيس من ظلم حبة الضرائب وتوسلوا إليه أن ينقذهم من العسف والجور اللاحق بهم . وقبل أن يتأهب كرتيس للعمل نقل معسكره إلى بقعة شمالية أحسن مناخاً ، وكانت هذه مستعمرة فيرا كروز (أو الصليب الحق) . ولقد اندلع لهيب الثروة بين رجاله فعمد إلى حيلة طارق بن زياد فأحرق سفنه عدا واحدة منها حتى يقطع عليهم خط الرجعة ويخضعهم لأمره ، ثم خطب فيهم وأطنب في وصف الغنائم التي سيحصلون عليها فأثار ذلك حماسهم ولم ينته الاجتماع إلا والكل مصمم على الذهاب إلى العاصمة . ولم يكن معه عند القيام سوى ١٥٠ رجلاً من ٥٠٠ إذ مات الباقى متؤثراً بجراحه أو من الأمراض ؛ وبعد أن ترك الساحل غير الصحي سار إلى الهضبة التي ترتفع أكثر من ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وكان الجو أكثر لطفاً والأشجار تحاكي أشجار أوروبا . وفي أثناء رحلته هذه كان يخبر الأهالي بأنه قادم من أعظم ملك في العالم ويحضهم على ترك عبادة الأصنام وتضيحة بنى آدم : ووصل الأسبان إلى بلدان مشيدة منازلها تشييدا فخماً ، وكان يحكمها نواب من منزوما . وقد رفض أغلب هؤلاء طلب

المستعمرين للذهب ولم يصدقوا أن هناك ملوكا أكبر من ملكهم . واضطر كرتيس لمحاربة بعض قبائل الهنود وكان نجاحه سببا في ذعر ملك المكسيك الذى طارت نفسه شعاعا من تقدم هؤلاء الأغراب ، فأكثر من إرسال الهدايا ووعد بأن يدفع ضريبة سنوية للملك أسبانيا إذا امتنع كرتيس عن دخول عاصمة ملكه ولكن الغازى أهمل طلبه .

وفي هذا الوقت ثار بركان پوپو كيتيل Popocatepetel وكان الأهالى يعتقدون أن هذا لا يقع إلا عند الإنذار بخطر داهم فازداد رعبهم . ولقد أرسل كرتيس بعض رجاله لتسلق الجبل وإخطاره بما يروونه ولقد كان أمرا غريبا أن يخاطر هؤلاء بحياتهم فى عمل كهذا مع أنه أمامهم ما هو أخطر منه ولكنها روح المغامرة هى التى حسدت بهم إلى ارتكاب الأحوال فى سبيل الفتح والغزو .

وبعد ثلاثة أشهر من القيام من فيراكروز وصل هؤلاء المغامرون إلى نقطة أشرفوا منها على سهل مكسكو . وكان المنظر الذى رأوه أجمل وأروع ما وقع عليه عين الإنسان : فى هذا الوادى كانت المياه متفجرة والأشجار ملتفة الأغصان ، والسهول نضرة بالمزروعات ، والمدن الجميلة منبشة ، والحدائق الغناء منتشرة ، وفى وسط الوادى كانت البحيرات الجميلة ، التى على شواطئها المنازل والقرى وفى وسط السهل قامت مدينة مكسكو الجميلة بمناراتها وهياكلها الهرمية الشكل تركض على صدر المياه . وسارت الحملة فى الطرق المعبدة بين مجارى المياه حتى وصلت إلى مقر العاهل منتزوما . فاستقبلهم ومنحهم الهدايا العظيمة وأظهر رغبة فى إكرامهم ، ولكن بعد بعض أيام لمح القائد

الأسباني عين الغدربادية من الملك فاحتال عليه حتى أسره وحمله رهينة إلى معسكره ، فاضطر الملك بأن يأمر رعيته بالخضوع لكرتيس نائب ملك أسبانيا الذي أصبح ملكهم الشرعي ، وأمر بجمع الخراج لتقديمه للفتاحين . على أنه رغم كل محاولة لتنصير منتزوما رفض أن يقلع عن وثنيته فأثار ذلك غضب كرتيس وأمر بهدم الأصنام في الهياكل وصلى الصلاة الكاثوليكية بها ، بيد أن هذه القسوة أثارت غضب الأهالي فأخذ كرتيس يمعن في الأخطار التي جلبها على نفسه من جراء طيشه ؛ هذا إلى أنه سمع أن بعض رجال من خصومه غزا الشاطئ ، ومن ثم صمم على العودة لمحاربتهم . أما بقية قصة كرتيس وعودته إلى مكسكو لقمع ثورة هناك فالتاريخ كفيل بها . ففي ثناياهم نقراً له بحشا في قوة الأسبان وضعفهم في أساليب حكمهم أرض الدنيا الجديدة . على أنهم بشجاعتهم الفائقة وجراتهم النادرة وصراحتهم وقسوتهم في بعض الأحيان استطاعوا أن يؤسسوا في نهاية الأمر في المكسيك والبلاد المجاورة أسبانيا جديدة درت على الغزاة الخير الكثير .

وفي آخريات أيام كرتيس قام بعدة رحلات بين أوروبا والمكسيك ومنها أرسل حملات كشفية أخرى عديدة في كثير من الجهات حتى وصلت إحداها في سنة ١٥٣٣ إلى شواطئ كاليفورنيا .

الفصل الحادى عشر

بىزَارُو (Pizarro) وغزو بىرو (Peru)

إن قصة نجاح كرتيس ورجاله فى غزو المكسيك حلت رجالا عديدين من الأسبان على الهجرة إلى الدنيا الجديدة فقصده الكثير منهم إلى مضيق پَنَّا ، وبعضهم كان برقة بَلَبَاو فى رحلته الشهيرة التى أشرف منها على المحيط الهادى . ولقد سمع بلباوا الهنود الذين يقطنون هذه الجهة يتكلمون عن أقاليم جنوبية تنتج الذهب ، ولما لم يستطع بلباوا التقدم بكشفه عن هذه الجهات أخذ غيره العمل على عاتقه ، وكان الرجل الذى نجح منهم فى ارتياد هذا الاقليم هو فرنسكو پىزارو : وهو من أهل أسبانيا وكان فى مبدأ حياته راعيا للخنازير ، ولكن قصص الدنيا الجديدة والهند أثارت كامن نشاطه وخاسته كغيره من سكان اشبيلية ، وعلى كره الزمن أصبح من مساعدى بلباوا عند محاولته استعمار دارين . وبعد أن صرف بعض الوقت هناك رحل إلى پَنَّا فى سنة ١٥٣٤ ومعه فى سفينته بعض الرجال الذين كان همهم الحصول على الذهب ؛ وأبحر الراكب فقطع عدة فراسخ بمخاض أمريكا الجنوبية فواجهتهم أمطار شديدة وعواصف هوجاء . ولقد وجدوا الأرض مغطاة بالغابات ولم يستطيعوا اختراقها ، وقل زادهم فتنكروا لقائدهم على أنه ما انفك يتألف معهم ويعاملهم بالحسنى ، وأخيراً أرسل بعض رجاله فى إحدى السفن لجلب القوت . أما هو وبعض الرجال الأخر فساروا فى القارة على غير هدى حتى عثروا على قرية هندية ، فى جهة ما ، اجتثت الأشجار

من حولها وسمع من سكانها عن مملكة عظيمة بعد الغابة فصمم بيزارو على النجاح ، على أن المطر والمرض أنهك قوى رجاله ولكن السفينة التي كانت أبحرت لجلب المثونة عادت وأنجدتهم ؛ وسار الجميع حول الشاطئ متجهين صوب الجنوب فالتفوا الغابة ثقل كثافة فصحت عزيمتهم على النزول إلى البر فصادفتهم قرية هندية كبيرة هجرها سكانها عند اقتراب الأسبان ولكن هؤلاء الهنود هاجوا الأسبان هجوما عنيفا اضطروا على أثره إلى الرجوع إلى سفينتهم التي أصابها العطب مما اضطر بيزارو إلى العودة إلى پنما لإصلاحها وفي أثناء ذلك كان زميل لبزارو يدعى المجرو (Almagro) في پنما في انتظار ابجاز بناء سفينة أخرى فاذا تم ذلك أقلع صوب الجنوب ليلحق ببزارو ولكنه لم يعثر عليه وعاد بعد أن وصل إلى نقطة على بعد ٣ درجات شمالي خط الاستواء . ولقد أثار الربانان كثرة الذهب الذي حصلا عليه من الأهالي فما لبثوا أن عادوا إلى بلادهم حتى أعدا العدة لسفرة ثانية ، وقد حصلا على سفينتين و ١٦٠ رجلا بشيء من الصعوبة وعددا لا بأس به من الخيول . ولما كان المناخ معتدلا استطاعت الحملة أن تتجاوز سريعا النقطة السابقة ونزلت إلى البر وحصلت على مقادير أخرى من الذهب أرسلت على إحدى السفن لكي يغري هؤلاء المخاطرون عددا آخر من البحارة للانضمام اليهم . وقد بقي بيزارد في البر وأرسل ربان السفينة الثانية لتقلع صوب الجنوب لارتياح الشاطئ فمرت بجزيرة جالو Gallo فدهشته أمارات التمدن الكثيرة كما دهش كرتيس من قبل عند غزو مكسكو . وما رآه ضمن غيره من الأشياء قارب كبير تسيره قلاع مصنوعة من نسج القطن وبه كثير من الهنود ،

ولكن مما زاد في دهشته أن أغلب الملابس التي كانوا يرتدونها كانت من الصوف المنسوج نسجا دقيقا وبه صور للطيور والأزهار ومصبوغ بألوان زاهية . ولقد احتفظ الربان ببعض الهنود ليعلمهم اللغة الأسبانية واستمر في سياحته حتى وصل إلى نصف درجة عرضية جنوبا ، ومن ثم عاد أدراجه إلى بيزارو . ولقد تجشم الربان وأتباعه مصاعب جمة ولكن الأخبار التي جاء بها وعودة السفينة الأخرى بالموثون والرجال شجعت الجميع مرة ثانية ، وأخيرا أرسلت سفينة أخرى لجلب مقدار آخر من الميثونة وظل القائد مع أغلب الرجال على جزيرة جالو ؛ غير أن هؤلاء أظهروا أمارات العصيان حتى إذا ما جاءتهم سفن الانقاذ تاهبوا للعودة إلى أوطانهم . وعند ذلك أظهر بيزارو عزمه وشجاعته التي اشتهر بها : فسل سيفه ورسم خطين على الرمل من الشرق إلى الغرب ثم اتجه صوب الجنوب وقال يازملائي ويامواطني : في هذه الجهة التعب والجوع والعري والمواصف الكثيرة والأمطار ، وفي الجهة الأخرى الراحة والسرور . هنا تقع يبرو بثروتها وهناك ينما وققرها فليختر كل رجل منكم ما يحلوه ، أما أنا فذهاب صوب الجنوب ، ثم عبر الخط فتيهه الربان واثننا عشر رجلا وعاد الباقي إلى ينما .

وبعد شيور وصلت سفينة أخرى بالموثون . وقام الأسبان صوب الجنوب فعبروا خط الاستواء ودخلوا ميناء جياكيل (Guaquil) وقد لاحظوا أن الإقليم في هذه الجهة مرصع بالمدن والقرى بين سلاسل جبال مرتفعة ارتفاعا عظيما من الشاطئ ولا تترك أمامها عما يلي الشاطئ إلا واديا صغيرا تجري فيه أنهار قصيرة تحدث الخصب والنماء في الأرض المحيطة بها . وقد قدم الأهالي

للمستعمرين الفاكهة والحبوب وقطيعا من حيوان الألاما (وهي جمال أمريكية يستعملها الهنود) واستمروا صوب الجنوب حتى عرض ٩٠° جنوبا ثم عادوا إلى بنما وقد أهشتمهم الغرائب التي رأوها وأخذت منهم كل مأخذ .

وفي الأشهر القليلة التي تلت ذلك زار بيزارو ملك أسبانيا وحصل منه على السلطة التي خولته القيام برحلات للاستيلاء على الممالك التي كشفها . وفي سنة ١٥٣١ أفلح للرحلة الثالثة وكانت آخر رحلاته من بنما إلى بيرو ومعه ١٨٠ رجلا وثلاثون حصانا وعندما وصل شمال خط الاستواء بقليل نزل إلى البر بجنوده مصمما على ارتياد الساحل وسبقته السفن متجهة صوب الجنوب . وبعد سفر طويل قابلتهم في أثناءه حوادث كثيرة وغنموا فيها كنوزا قيمة وصلوا إلى مصب نهر جواكيل وعلى بعد قليل من الشاطئ أقاموا بها مستعمرة بقي بها عدد من الجند . ولكن بيزارو كان مصمما على الوصول إلى أرض الإنكا (Inca) حاكم البلاد الغريبة السكان الذي سمع عنهم بيزارو في أثناء تجواله على الشاطئ . وأرض الإنكا تشمل الهضبة العظيمة التي تقع بين سلسلة جبال الأنديز الرئيسية والشاطئ . ولقد علم بيزارو بثروة هذا الاقليم وخصوبة أرضه ومبانيه الفخمة فصمم على أن يحذو حذو كرتيس الذي اكتسب ثروة عظيمة من مكسكو . وقد يكون قد سمع أيضا بوجود نزاع بين شخصين من الأهالي يدعى كلاهما الملك . فتأكد بيزارو من موقع العاصمة وسار صوبها ، ولكنه كلما طال السفر ظهرت أموات الضجر والملل والخوف عند الجنود . على أنه خطب فيهم وخبرهم بكل شجاعة بين إنهاء الرحلة أو الرجوع إلى المستعمرة التي أقامها فلم يتبعه غير

تسعة من رجاله ، وبعد بضعة أيام جاء رسول من الإنكا يحمل الهدايا التي من بينها أنسجة صوفية منسوجة بخيوط الذهب والفضة ويؤكد له أن الحاكم مشتاق لرؤيته في عاصمة ملكه ككسمالكا Caxmalca في الجهة الأخرى من جبال الانذير . وبعد سياحة حمة الصعوبات استغرقت بضعة أيام أشرف على مدينة كأنها جوهرة على سفوح الجبال السوداء ولكن كان يحوطها خيام سوداء لجنود بيرو فدب عند ذلك الرعب في نفوس الجنود الأسبان في بادئ الأمر ولكنهم صمموا على البلوغ إلى قصدهم . أما جنود بيرو فقد أذهلتهم دروع الأسبان اللامعة وخيولهم الفارحة . وعند ما وصل ملك الإنكا الذي كان مشتاقا لرؤية هؤلاء الغرباء خاطبه مفاجأة باللغة الأسبانية قسيس أسباني طالبا إليه أن يعتنق الديانة الكاثوليكية ولكنه لم يفهمه ورمى إلى الأرض بكتاب الصلاة الذي قدمه له القسيس فانقص عليه الأسبان وقبضوا عليه ، وكان من الممكن أن يقتلوه لولا أن ييزارو آثر أن يستبقه أسيراً ، ولقد دب الرعب في نفس هذا الملك وأمر أن ينزع كل الذهب الذي في معابده وأن يقدم للأسبان ، ووعد بأن يملأ الحجرة التي سجن فيها بالذهب ، وعندما وصل الذهب قتله الأسبان فأخذ الهلع من الأهالي كل مأخذ وسلحوا دون أن يبدو أية مقاومة .

وفي سنة ١٥٣٤ استولى پيزارو ورجاله على مدينة كزكو Cuzko العظيمة وسمع بنجاح هذه الحملة غيرهم من الأسبان فسافروا إلى بيرو وغزوها كلها كما غزوا شيلي وبذا أسست امبراطورية أسبانية عظيمة في هذه الجهات من أمريكا الجنوبية .

وفي سنة ١٥٤٠ سافر أريانو ومعه باديء الأمر أخو پيزارو وسار في
نهر الامزون مخترقا غابات الانديز حتى مصبه وبذا تسنى اختراق أمريكا
الجنوبية من الغرب إلى الشرق .

الفصل الثاني عشر

الطرق الشمالية الشرقية — دلوبي willoughby

وتشانسلور Chancellor

لقد أوضحنا فيما سبق رغبة الانجليز في إيجاد طريق إلى الأقطار الشرقية
غير الطرق التي كانت تحت سيطرة الدول الأجنبية وهي التي حدثت بالانجليز
للمبحث عن طريق شمالي غربي . ولكن هذه المساعي فشلت ، فوجه هؤلاء
القوم أنظارهم صوب الطريق الوحيد الآخر وهو حول شمالي الترويج ومن
ثم حول شواطئ أوربا الشمالية وآسيا ، وعندما دار البحث حول هذا
المشروع كانت المصنوعات الانجليزية آخذة في الازدهار ازدهارا سريعا
لذلك أنصت التجار اليه وصوبوا اقتراح جون كابت الذي كان موجودا
إذ ذاك بانجلترا وهو إرسال بعثة نحو الشمال الشرقي للتجارة والبحث عن
أراض جديدة فأسسوا شركة وجهزوا ثلاث سفن كثيرة وقليلًا من السفن
الصغيرة وقامت البعثة سنة ١٥٥٣ تحت إمرة ولوبي وتشانسلور ومعها رسائل
من الملك ادوارد السادس إلى الملوك والأمراء وغيرهم من العواهل الذين

يقطنون الأقطار الشمالية من العالم في طريق امبراطورية كثنائى (Cathay) العظيمة. وقد أوصت الرسائل الملوك الأجانب بأن يمدوا رعايا ملك الانجليز بكل معونة وأنهم لن يمدوا أيديهم إلى شيء إلا بإرادة الحكام وأن يعتبروهم كأنهم رعاياهم وأن يعاملوهم كما يودون أن تعامل رعاياهم لو حضروا إلى بلاد الانجليز .

ولقد حاول السائحون بادىء الأمر أن يزوروا جزائر شتلند ولكن شدة الرياح حالت دون ذلك فعبروا البحار حتى وصلوا إلى جزائر لوفدن المتاخمة لشواطئ البرويج ، وهناك قابلوا نرويجياً في قارب صغير فنصح لهم بالدخول إلى الميناء والحصول على دليل ليرشدهم إلى المرحلة التالية من رحلتهم ولكن اضطراب البحر حال دون ذلك فاضطروا للارتداد نحو البحر وفرقت الرياح السفن أيدي سبأ وسار تشانسلور ومعه سفينتان على غير هدى بجذاء الشاطئ الشمالى للبرويج ومر على غير علم منه بالمكان الذى اتفق هو وزملاءه على المقابلة فيه . ويطهر أنه مرّ على نوثازمبلا ودخل البحر الأبيض ووصل إلى شاطئ لايتلاند وقد قضى فيها السائحون الشتاء وقاسوا آلام البرد وصعوبة الحصول على الغذاء المواتق وقد مات كل أصحاب الشوي غير أنه عثر على السفن الأخرى فيما بعد .

وفي نفس الوقت وصل تشانسلور إلى قردوس (Verdos) محل المقابلة فى الايلند وقد استقر فيها أياماً قلائل ثم صمم على الاستمرار نظراً لحلول الشتاء وخطورة البقاء فى أثناءه . وقبل أن يبدأ رحلة ثانية قابل بعض الصيادين الإسكتلنديين الذين حذروهم من المخاطر التى سيلقاها ولكنه لم

ينصت اليهم وصمم على إنهاء الرحلة أو يموت . واقد تحمس البحارة معه وأقلعوا حتى وصلوا إلى محل ليس به ليل ودخلوا البحر الأبيض فوجدوا بعض الصيادين الذين أرهبتهم السفينة الكبيرة وحاولوا الهروب ولكن حسن معاملة تشانسور هدأت من روعهم فأظهر الأهالي عطفاً عليهم وأمدوهم بالغذاء ولكنهم امتنعوا عن الاتجار معهم إلا برضاء العاهل وأرسل الأهالي رسولا اليه يستنصحوه في شأن هؤلاء الأجانب فأمر الرسول بإرسال هؤلاء الأجانب إلى مقر العاهل ، ولكن السياح استبطنوا الرسول وساروا نحو مقر الملك وكانت رحلتهم شاقة استعملوا فيها المزالق في وقت كانت فيه الأرض متجمدة ؛ وفي أثناء الرحلة قابلوا الرسول . وكان جواب العاهل ذا أثر حسن في نفس المسكوفيين الذين أحسنوا معاملة السائحين وأولوا لهم الولائم الفخمة .

وأخيراً أخذ تشانسور خطاب الإمبراطور إلى ملك الانجليز وقد جاء فيه أن إمبراطور المسكوف يرحب بالأمة الانجليزية ويسمح لكل سفنها أن تزور ثغور بلاده وأن تحمل المتاجر وغيرها من بلاده وتتجر مع أهلها بدون عائق أو خطر ما .

وكان من تأثير تقرير تشانسور الحسن عن رحلته أن أرسلت الشركة حملة أخرى في سنة ١٥٥٥ وأشأت لها وكالات في جهات عديدة من روسيا . وكان غرض الوكلاء الحصول على أرباح كافيّة للشركة التي تكفلت بمصاريف الرحلة . وقد عهد إلى أفرادها أن يبذلوا كل جهدهم لينفذوا من روسيا إلى مملكة كشاى (Cathay) وأن يتعرفوا مآل السفن

الانجليزية الأخرى ، وكانت الرحلة موفقة وقضى تشانسلور الشتاء التالي بروسيا وعاد أهم رجال الرحلة إلى إنجلترا . ثم أرسلت تجريدة أخرى في سنة ١٥٥٦ ووصلت إلى ساحل لابلاند حيث عثرت على بقايا سفن ولوبي . وجاء تشانسلور من روسيا وقابل أصدقاءه وبعد تبادل السلع التجارية سافر على إحدى السفن مع سفير من أمبرا طور الروس ، وكان بالسفينة الشمع والزيوت والشحم والفراء واللباد والفزل وما شابه مما بلغت قيمته حوالي عشرين ألف جنيه ، وكذلك اصطحب معه ١٦ روسيا كانوا يقومون بخدمة هذا السفير . ونزلت بالمسافرين كارثة فحسروا سفينتين من سفنهم الأربع على شاطئ اسكتلند ولم تصل السفينة الثالثة نهر النمز إلا بعد انقضاء شهور عدة . وأما الرابعة وكان على ظهرها السفير فأصابها العطب على شواطئ اسكتلندا وهلك الربان واستولى الاسكتلنديون على حوتها . وقد وصل السفير آخر الأمر إلى مدينة لندن وقابله أهلها استقبالا حسنا وكذلك الملك فيليب وقرينته الملكة ماري وكانا يحكما وقتئذ . وقد توطدت العلاقة بين إنجلترا والروسيا .

والعمل على إتمام التجارة مع روسيا والعوائق التي قامت في سبيل الملاحة حول شمال الدنيا القديمة — كل ذلك كان من شأنه منع التقدم في حل مسألة الطريق الشمالى الشرقى . ولقد وصل ملاح أو اثنين من المخاطرين إلى نقطة أبعد مما وصل إليها ولوبي ، ولسكن ظلت الحال كما هى سنة ١٨٩٧ حين شقت سفينة تجارية طريقها في هذا الاتجاه حتى وصلت إلى المحيط الهادى .

الفصل الثالث عشر

جون هوكنز (Hawkins) ورحلات دريك (Drake) الأولى

(أنظر خريطة - شكل ٩ للمقابلة صفحة ٣٥)

ان غزو الأسبان للدنيا الجديدة وإستعمارهم لها كان من شأنه أن توطدت التجارة بين أقطار هذه القارة وأسبانيا وامتلات خزائن هذه المملكة بكنوز أمريكا ، وصدرت الأوامر بالأيفيد من هذه الكنوز أو التجارة مع هذه الأقطار غير الأسبان .

ولم يتخذ الانجليز من الأسباب مايساعدهم على توطيد أقدامهم في الدنيا الجديدة منذ رحلة آل كبت (Al Cabots) وكانت قد اتحمت أنظارهم نحو جهات أخرى مثل أقطار البحر الأبيض المتوسط التي كانت تدر عليهم من الخيرات مايجزيهم من المشاق التي يتكبدونها . هذا إلى أنه نظرا للعلاقات الحسنة التي كانت قائمة بين ملكي إنجلترا وأسبانيا فان الرحالة الانجليز كانوا يتحاشون ما يكدر صفو ملك أسبانيا . على أنه يصعب دائما أن تحصر التجارة في دوائر خاصة لا سيما عندما يعرف التجار بقاعا جديدة مبشرة بالخير ، وقد وجد الأسبان صعوبة في الحصول على عمال للعمل في مزارع قصب السكر في جزائر الهند الغربية ، وكان من جراء ذلك أن قام في نفس هوكنز أن الاتجار بالعبيد يكون ذا قيمة عظيمة ، وكان يعلم بوجود الكثير من هؤلاء على سواحل غانه بافريقية فصمم على الأخذ بتجارة الرقيق بين أفرقية والمستعمرات الأسبانية . وفي أول رحلة في سنة ١٥٦٢ استطاع أن

يحصل بالقوة أو بوسائل غيرها على ٣٠٠ من الزوج قايض بهم في جزائر الهند الغربية بالجلود والزنجبيل والسكر وبعض اللآلى ، وأرسل بعض الجلود للدغ إلى أسبانيا ولكن أرباب السلطة هناك منعوا الاتجار مع الإنجليز . وفي سنة ١٥٦٤ قام هوكنز برحلة ثانية . وفي هذه المرة وجد صعوبة في اغراء اسبان فنزويلا على الاتجار بخامة غضب الحاكم . ولكنهم لم يكونوا جادين في هذا الامتناع لأنهم كانوا راغبين في العبيد . على أنه رحل الى جيمكا وبحر الكريب وتخلص من هؤلاء الأرقاء ، ومر على سواحل فلوريدا والتقى بجماعة من المستعمرين الفرنسيين . وعندما غادر هذا الساحل دفعت سفينته الرياح الغربية فسارت متجهة صوب الشمال الشرقى ازاء شاطئ أمريكا الشمالية حتى نيو فونلند ومن ثم سارت إلى أوروبا وهذه أول مرة سافر الإنجليز فيها بحذاء الولايات المتحدة .

وكان أهم رحلاته الرحلة الثالثة التي قام بها في سنة ١٥١٧ وفي هذه المرة وجد صعوبة في التخلص من عبيده وتأخر بسبب ذلك كثيرا حتى جاء موسم الأعاصير قبل أن يبارح منطقة الخطر فالتجأت سفينته إلى سان جواندى ارالوا على شاطئ المكسيك . وقد كان فرنسيس دريك Francis Drake أحد ربان أسطوله الصغير وكان معقودا الواؤه للسفينة چودث Judith وكان قد قضى مدة تمرينه على ظهر سفينة كانت تمخر بمتاجرها عباب بحر الشمال ثم انضم إلى فريق البحارة الإنجليز الذين كانوا يتجرون على الشاطئ الغربى لإفريقية وجمع بذلك ثروة طائلة . وعندما قام هوكنز برحلته الثالثة انضم اليهم دريك على سفينته چودث .

وكان الأسبان المستعمرون للقارة الأمريكية في سن جوان منتظرين أسطولا أسبانيا ولذلك اشتد بهم الأمر عندما واجههم الإنجليز ، ولكن هو كنز هدا من روعهم ولم يطلب منهم سوى المواد الغذائية ؛ وكانت بالميناء سفن مملوءة بالسكنوز ولكنه لم يستول عليها وأرسل إلى حاكم مكسيكو يطلب إليه الترخيص بأن يستجيم وقتا ما ويحصل على المئونة ؛ وبعد ذلك بقليل ظهر أسطول أسباني قوامه ثلاث عشرة سفينة على أبواب الميناء فرفض هو كنز السماح له بالدخول إلا إذا امتنع عن مهاجمة الإنجليز . غير أنه بعد أن رخص لهذه السفن بدخول الميناء لم تلبث أن هاجمت السفن الإنجليزية وبعض البحارة الذين كانوا في أرض الميناء ففرت سفينة دريك وأخرى ، واتجهت هذه السفينة إلى إنجلترا . أما الأخرى فكانت حولتها أعظم من طاقتها فأنزلت نصف رجالها إلى الشاطئ وسارت بعدسة أسابيع من شاطئ فلوريدا إلى شاطئ أسبانيا ومن ثم إلى خليج مونت في كنوول في سنة ١٥٦٨ بعد أن مات الكثير من رجال هو كنز واستشهد عدد عظيم منهم مما قاسوه من الأهوال . ولكن هذه الرحلات أكدت اشتراك الإنجليز إشتراكا سلميا في تجارة الغرب . ومن ثم اشتبك البحارة الإنجليز والبحارة الأسبان في نضال مستمر في الدنيا الجديدة .

ولقد فقد دريك الكثير من ثروته الضئيلة في مناوأة السفن الأسبانية في سن جوان . وعندما عاد إلى إنجلترا قص المظالم والإضطهاد الذي قاساه الإنجليز من الأسبان ولذلك أثار شعورا سيئا ضدهم ، وصمم دريك حينئذ على مهاجمة المستعمرات الأسبانية لينتقم لنفسه : فقام برحلتين إلى جزائر

الهند الغربية ثم عاد ليتخذ الأبهة للهجوم على برزخ دارين في قلب هذه
المستعمرات .

في سنة ١٥٢٧ أبحر ومعه سفينتان وعدة زوارق مدرعة مفككة
الأجزاء يسهل تركيبها عند الإقتضاء ، وعندما وصل إلى الشاطئ نزل في
نقطة ملائمة وبني قلعة واحدة وأخذ في تركيب أجزاء الزوارق . ولقد سمع
دريك أن الكنوز الأسبانية من بيرو تحمل من الشاطئ الغربي إلى الشاطئ
الشرقي عند برزخ دارين ومن ثم تحمل على متون البنغال إلى الشاطئ
وهناك توسق على السفن إلى أسبانيا ، فصمم دريك على اقتناص الكنوز عند
وصولها إلى نهر نبردي ديوس (Nombre de Dios) على الشاطئ الأطلسي ،
فعندما وصل إلى هذا الشاطئ طرد أكثر الأسبان الذين أصابهم الملح
من جرأته واقدامه وكان على وشك فتح مخازن الكنوز في المحلة لولا أنه
جرح في أثناء هذه المحاولة ؛ ولما كانت حياته عند البحارة أغلى من الكنوز
نقله رجال إلى ظهر السفينة . وفي الأسابيع التالية استولى البحارة الإنجليز
على سفن أسبانية كثيرة وأمعنوا في سلب الكثير مما في المحلات الأسبانية
بالرغم من جهد الأسبان ومحاولتهم منعهم من ذلك واستماتتهم في الدفاع
عنها . ولقد كان يقطن بداخل القارة قبيلة هندية كان رجالها أعداء الداء
للأسبان الذين طالما ساموهم الخسف وأثقلوا كاهلهم بالمظالم فتقدم إليهم
دريك طالبا مودتهم فصادقوه ووافقوا على تنفيذ أغراضه . وبعد فترة
طويلة من الزمن أخبر هؤلاء الهنود دريك ؛ بأن الأسطول الذي يحمل
كنوز الأسبان مستقرا في محلة نهر دادايوس ولا تلبث أن تأخذ الغنائم

والكنوز طريقها إلى البرزخ فصمم دريك على اقتناص هذه الثروة وهو في هذه الرحلة : فقام دريك ومعه عصابة من خمسين رجلا من بينهم ثلاثون من الهنود لتنفيذ هذه المهمة الشاقة ؛ وكان الطريق في درب متصاعد يتخلل أجمات جميلة . وفي إحدى مراكز الطريق صعد على شجرة ورأى شاطئ المحيطين الأطاسي والهادي فقام في نفسه أن يبحر بسفينته إلى هذا المحيط العظيم وآلى على نفسه أن ينفذ ذلك يوما من الأيام .

وبعد وقت قصير وقفت حملته عند مركز يستطاع فيه أن يكمُن ويترصّد قطار البغال ولكن أحد رجاله تسرع فاستشعر الأسباب بالخطر وفروا بكنوزهم إلى بُنا ولم يرسلوا إلا التافه منها على ظهور البغال فتكدر دريك غير أنه هجم على قطار آخر من البغال بالقرب من نهر دى ديوس واستولى على مقدار عظيم من الكنوز ووجد أنه حصل على ما يكفيه مؤقتا فعاد ادراجه إلى إنجلترا بالسفينتين الباقيتين من سفنه ووصل إلى أرض الوطن في ١٩ أغسطس سنة ١٥٧٣ واستقبل استقبالا طيبا من أصدقائه ومواطنيه . ولكن الملكة لم يرق لها عمله لأنه عمل سيجعل العلاقات متوترة بين مملكتها وأسبانيا . وبعد أربع سنوات نال فيها الأسباب من السفن الإنجليزية الشيء الكثير وأصابوا الكثير من سفنهم بالدمار استنشطات الملكة غضبا ووافقت على أن يجوب دريك بأسطول صغير المحيط الهادي ويهاجم المدن والسفن الأسبانية فلم يوافقها وزراؤها ، ولكنها عاونت دريك سرّاً وتبرع غيرها بالمال لتشجيع المشروع وحصل دريك على السفن للسفرة الثانية التي كان يأمل فيها منذ أن رأى المحيط الهادي على قمة الشجرة في برزخ دارين .

الفصل الرابع عشر

رحلة دريك حول الدنيا

(أنظر الخريطة المواجهة لصفحة ٥٧)

أبحر دريك من ثغر پلْمَثْ في ١٥ نوفمبر سنة ١٥٨٧ وكان معه سفن أربع وزورق صغير مدرع ، وكانت السفرة غير موقسة في مبدئها إذ نزلت بها عاصفة هوجاء عند ما صار في عرض البحر فاضطر للعودة إلى ثغر پلْمَثْ لإصلاح ما أفسدته العاصفة وتأخر ثلاثة أشهر ثم استأنف سفرته ؛ ووصلت الحملة بعد ١٢ يوماً إلى شاطئء مراکش فأظهر له الأهالي حسن المودة ولسكنهم احتالوا على أسر أحد البحارة الانجليز . وسار الأسطول الصغير جنوباً بحذاء شاطئء أفريقية حتى وصل إلى جزائر رأس قرد فاستقر فيها قليلاً حتى تمتع الرجال بكرومها وفاكهتها التي لا تنقطع طول العام لشدة حرارة جو إقليمها . وقد عثروا على الكثير من هذه الجزائر . واستمر الأسطول حتى وصل إلى خط الاستواء وهناك ظل ساكناً مدة ثلاثة أسابيع ولسكن كان عرضة الأعاصير والكثير من الرعد والبرق والمطر . وقد ظل الركب مدة أربعة وخمسين يوماً بدون أن يرى أرضاً وأخيراً وصل إلى شاطئء البرازيل عند خط عرض ٣٣° جنوباً وهنا حاول الأهالي تدمير الأسطول مستعينين بالتعويذات وبالقرى للشياطين . ثم اتجه صوب الجنوب حتى وصل نهر پلِيت (Plate) وحصل فيه على

الماء العذب . وعلى بعد أميال منه وصل إلى ميناء جيد كثرت فيه عجول البحر وبذا وصل دريك إلى شاطئ بتاجونيا . ولقد أظهر الأهال سرورهم بتقدمه بالرقص والوثب وتناولوا السلع التجارية ولسكنهم لم يستسيغوا تسلم شيء من يد رجل بل صمموا على رميها إلى الأرض قبل التقاطهم لها .

وعند ما وصل إلى ثغر سانت جوليان قضى فيه فصل الشتاء واضطر للتحقيق في سلوك أحد ضباطه من جماعة رفاقه الرئيسيين . ولما ثبتت إدانته أعدم . ولولا أنه فعل ذلك لباءت رحلته بالفشل والخسران . وبعد أن أقام شهرين بهذه الجهة ونقصت سفينه إلى ثلاثة أبحر صوب مضيق مجلان ووصل إليه بعد ثلاثة أيام . ولقد وجد المضيق كثير الأعوجاج عميق المياه ولاقى صعوبة للرسو فيه . وصادفتهم جزيرة بها الكثير من الأوز فنقلوا منها ما يقرب من ٣٠٠٠ أوزة في أقل من يوم واحد لغذائهم .

وصل إلى بحر الجنوب South Sea بعد ستة عشر يوماً وسارت سفينته تؤم السفن الأخرى إلى المحيط الهادى وهنا ظهر الجو مضطرباً وهبت أعصار أغرقت سفينة أخرى ومن بها وعادت سفينة حتى وصلت إلى جزيرة تيمرا دلفويجو . وضلت سفينة عن بقية الفلاك ورجعت إلى انجلترا .

ولكن دريك صمم على إنهاء الرحلة ولو بقيت لديه سفينة واحدة ، فصار صوب الشمال بحذاء ساحل شيلي وأخيراً كان يخشى الهنود من أهل من الأسبان ويمقتونهم ، وقد سمع منهم أن للأسبان سفناً مشحونة بالكنوز راسية في ثغر فلنبريزو فأقلع صوبه ووجد الفلاك في أيدي جماعة صغيرة من البخارة فغلبهم على أمرهم واستولوا على الكنوز دون كبير مشقة لأنه

لم يكن يدور بخلد الأسبان ظهور الإنجليز بالقرب من الشاطئ . ولقد فر الأسبان الذين بالمدينة عند ما رسي دريك . وبعد أن حصل على الكنوز أبحر صوب ثغر ايا بمساعدة بحار يوناني كان يقطن تشيلي . ولقد استولت السفينة على الكثير من الخور والذهب مما أغرى الانجليز بالرسو في جهات كثيرة من الشاطئ ولقد هاجمهم الأسبان في جهة ما ولكنهم في جهة أخرى وجدوا أسبانياً نائماً وبجانبه ثلاثة عشر قضييماً من الفضة . وفي محلة أخرى استولوا على ثمانية جمال أمريكية محملة بالفضة . وفي أريكا وجدوا ثلاث سفن بدون بحارة لأن هؤلاء نزأوا إلى البراطمئنانا منهم إلى عدم وجود رجال آخر من المستعمرين ، وفي ليا وجدت اثنتي عشرة سفينة محملة بصفائح الفضة ومنسوجات من الحرير والكتان . وهنا سمع أن سفينة أسبانية محملة بالكنوز قد أبحرت شمالاً صوب برزخ بنما فجذ في السير حتى أدركها واغتصب ما فيها من الكنوز الكثيرة إذ عثر بها على جواهر نفيسة وثلاثة عشر صندوقاً مملوءة بصفائح الفضة وأربعة عشر رطلاً من الذهب وعشرين طناً من الفضة .

و بعد أن اقتنص سفناً أخرى وأقرغ ما في خزائنها شعر بأنه انتقم انتقاماً كافياً من هؤلاء القوم وفكر في العودة من طريق مضيق مجلان ولكنه خاف من أن يجد الأسبان له بالمرصاد وخاف من الزعازع والأعاصير التي تهب عليه فصمم على أن يعبر المحيط الهادى قاصداً جزائر التوابل ومن ثم يقصد رأس الرجا الصالح ثم بلاده . فسار صوب الشمال حتى تساعده الرياح في رحلته واستمر ستة أسابيع . وكان الجو بارداً مضيقاً

وأخيراً وصل إلى شاطئ منخفض مستو به فجوة صالحة وهذا هو موقع مدينة سن فرنسيسكو الحالية ، وهو أبعد شمالاً من أى مركز وصل إليه الأسبان ، ولقد رحب الأهالى بالبحارة وخضع الملك لدريك وسمح له بأن يستولى على الإقليم بإسم ملك إنجلترا وسمى الإقليم الجديد نيو ألبيون New Albion ووضع أمارات للدلالة على وجوده به ، وأخيراً ترك هذا الإقليم وسار عبر المحيط الهادى مدة ستين يوماً وصل بعدها إلى جزائر الفلبين التى قتل فيها مجلان . ثم غادرها دريك إلى جزائر الملوك أو القوابل فرحب به أحد ملوكها ونجح رعاياه البحارة بهدايا من الأوز والدجاج والسكر والموز والقرنفل وقد زار دريك الملك فوجد إمارات تدل على الثروة العظيمة . ووجد وكلاء اتجار جنوبى أوربا مقيمين بالإقليم . ولكن دريك رحل منه رغم ما به من الأغراء والفتنة واخترقت سفينته المضائق على صعوبتها وذلك بفضل الملاحه الوطنيين . ثم سار صوب الجنوب حتى وصل إلى رأس الرجاء الصالح ، ثم غادره سائراً بحذاء شاطئ إفريقيا الغربى حتى وصل سيراليون على شاطئ غانه .

وفى ٣ نوفمبر سنة ١٥٨٠ وصلت السفينة إلى نهر پليميث بعد ثلاث سنوات من مبدأ رحلتها فأنعمت عليه الملكة بلقب فارس . فكان أول إنجليزى ساح حول الدنيا .

الفصل الخامس عشر

مرتن فروبشر (Martin Frobisher)

بعد أن فشل چون كابت في كشف طريق إلى آسيا بوساطة بحر في شمال شرق المحيط الأطلنطي لم يحاول أحد استئناف هذا الكشف على أن الأمة الإنجليزية ما برحت ترمق بأنظارها إلى السير في الطريق الذي سلكه دلوبي وتشانسيلور وغيرهما لإيجاد سبيل إلى أرض كاثاي . وفي سنة ١٥٧٤ وضع سير هنري جلبرت كتابا برهن فيه على إمكان الوصول إلى هذا الأقليم من هذا الطريق . وبعد ذلك بسنتين حاول مرتن فروبشر ، وكان من الذين ارتادوا شاطئ أفريقيا الغربي أن يثبت صحة ماذهب إليه جلبرت .

وقد رحبت الملكة بما رآه وأمدته بسفينتين وزورق مدرع . فأقلع في ميونية سنة ١٥٧٦ ومر بجزائر أركنى وشتلند . وفي ١١ يولية أبصر شاطئ آخر هو شاطئ لابرادور ولكنه تعذر عليه أن يصل إلى الأرض لتراكم الثلوج . ولقد فقد زورق بسبب الضباب وفرت إحدى سفنه راجعة إلى إنجلترا وزعم بحارتها أن فروبشر وسفينته الأخرى ضللا الطريق . ولكن فروبشر سار صوب الشمال الغربي ووصل إلى نقطة لم يصلها أحد قبله وهي الشاطئ الجنوبي الشرق من أرض بفن Baffin land فظن أنها جزء من آسيا وسار في مضيق سماه باسمه ثم صعد جبلا ورأى أشباها ظنها في أول الأمر عجول البحر . غير أنه عند ما اقترب منها وجدهم جنودا في قوارب

صغيرة من أديم هذا الحيوان فحاول مقايضتهم بأجراس ومرايا وجلود عجول البحر ولكنهم كانوا أناسا شيمتهم الغدر لأنه عندما أنزل خمسة من رجاله إلى البر اقتنصهم هؤلاء الهنود ولم يسمع عنهم شيء فيما بعد . ولقد صمم فروبشر أن يأسر أحداً من هؤلاء أمارة كشفه فاحتال في أسر رجل ولكنه حاول الهروب ولما امتنع عليه ذلك قطع لسانه بأسنانه عليه يموت ولكنه ظل حياً حتى وصل إلى انجلترا غير أنه مات من برد أصابه فيه أثناء الرحلة .

وعاد فروبشر إلى انجلترا سنة ١٥٧٦ وهناك الجميع على نجاح رحلته .. وقد جمع معه بعض أشياء ذات أهمية منها حجر ثقيل ظهر عند فحصه أن به بعض حبيبات الذهب فأحدث ذلك ثوراناً في الأفكار وألح عليه الناس في السفر مرة ثانية لجلب مقادير كبيرة منه . فتأهب لرحلة أخرى وسار في مايو سنة ١٥٧٧ قاصداً نفس الاتجاه إلى مضيق فروبشر ماراً بجنوب جرينلاند فأدهشته كثرة السمك في هذا البحر . وبعد أن تأخر قليلاً بسبب الثلج وصل إلى الأرض التي تحف بالمضيق وجمع كمية كافية من الأحجار السالفة ، واستولى على الأرض باسم مملكته ، وقد ضايقته أعاصير شديدة عادت بسببها إحدى سفنه إلى يرمُث ووصل هو بسفينة أخرى إلى لندن .

ولقد صحت عزيمة القوم على أن يقوم فروبشر برحلة ثالثة بقصد استعمار الأرض الجديدة فقام ومعه خمس عشرة سفينة وبعض المتطوعين

الذين رغبوا في استعمار هذه الأرض . فقامت الحملة في مايو سنة ١٥٧٨ ووصلت في أول يولييه ، ولكن سوء الأحوال الجوية أضلته عن طريقه . الأول فدخل خليج هدسن وكشف بالمصادفة الطريق السوى الذى يصل إلى أرض كثنى . وعلى كر الأيام كشف البحارة طريقهم إلى مضيق فروبشر بعد أن خسر الكثير من سفنه وأخذ الكثير من تلك الأحجار ثم قفل راجعا إلى بلاده بدون أن يبقى لكشف جديد .

وعند ما وصلت السفن التى شردها الرياح إلى لندن اتضح أن الأحجار التى جلبها عديمة القيمة واعتبر عمله من الوجهة العملية عديم الفائدة .

ولقد حاول بادىء بدء أن يكشف مسألة جغرافية ولكن الحصول على مآظنه الثروة حاد به عن هذا الطريق وكان شأنه فى ذلك شأن الكثيرين ولكنه برهن على شجاعته وجلده بوصفه كاشفا وأضاف الكثير من المعلومات عن الشمال المتجمد .

افضل السيدس

الممر الشمالى الشرقى

ديفيس Davies وهودسن Hodson و بفين Baffin

جون ديفيس

ولو أن فرو بشر لم ينجح فى غرضه الأساسى من كشف طريق شمالى غربى الى كندا فإن الكثير من التجار الانجليز كان يعتقد فى إمكان النجاح وأخذ تجار لندن يهتمون بالأمر وحصلوا لـ ديفيس على امتياز يخوله البحث عن هذا الطريق وكشفه وقام بأغلب النفقات المائية رجل من أغنياء التجار يدعى سندرسن .

السفيرة الأولى

غادر ديفيس إنجلترا فى سنة ١٥٨٥ ووصل إلى ساحل جرينلاند بعد أن عبر المحيط الأطلسى ودهشته كثرة الأسماك المتنوعة التى قابلته . ولقد وصف جرينلاند بأنها أرض صلبة صخرية وتغطى قمم جبالها الثلوج كما أن هذه الثلوج تغطى سطح البحر لأميال بعيدة ووصف أرضها بأنها بلقع خراب صفصف . وبعد أن سار ديفيس حول الرأس المسمى فيرويل Farewell اتجه شمالا حول الشاطئ الغربى لجرينلاند حتى وصل إلى خط عرض ٦٤° شمالا وهنا وجد مضيقاً مائياً سماه مضيق جلبرت وعند ما وصل إلى البر عثر على آثار سكان وصفهم بأنهم ذئاب عرايا الأجسام . وقد أشفق

الأهالى منه بادية بدء والسكنهم آنسوا بالبحارة فيما بعد وقيامضوم السكاكين
والمسامير بالقراء والجلود . ولما علم المستكشف من السكان أن بحراً عظيماً
يمتد في الشمال الغربي قصده مؤملاً أن يصل إلى كئاشى ، ولكنه وجد
مضيقاً مائياً سمى فيما بعد مضيق كمبر لقد كان يظنه بغيته ولكنه وجد
الوقت متأخراً فعاد إلى لندن وقدم تقريراً بنجاح مهمته .

السفرة الثانية

قام تجار إكستر بتجهيز هذه السفرة وقد قام بها في سنة ١٥٨٦ و بعد
أن وصل إلى مضيق ديفس شاهد تياراً مائياً جملة يعتقد بوجود طريق يمر
بخليج كمبر لند فسار على مسافة كبيرة من الساحل مستكشفاً واصطاد عدداً
عظيماً من السمك المعروف بالكُد Cod وكانت نتيجة هذه السفرة على
جانب عظيم من الأهمية إذ استكشف كثيراً من الفجوات المتسعة في الغرب
وارتاد كذلك قسماً عظيماً من الساحل .

السفرة الثالثة

وصل ديفس في هذه السفرة إلى مضيق جلبرت ثم سار نحو الشمال
ممتدبعا ساحل جرينليد إلى أن وصل خط عرض ٧٢° شمالاً ثم شاهد رأساً
عالياً سماه رأس سنـدرسن ، ثم عبر المضيق ووصل إلى الساحل الغربي ورأى
جبل رالى وكشف خليج كمبر لند ثانية ومضيقاً عظيماً هو في الحقيقة مضيق
هدسن ثم سار صوب الجنوب وتتبع سواحل لبرادور الشرقية .

وكان ديفس أكثر علماء وخبرة من كل مستكشف آخر فكشفه جميع البحار والسواحل كشفاً دقيقاً ودونهاى الخرائط ، وتتبع ساحل جرينلاند الشرقى والساحل الغربى . وقد جمع كثيراً من المعلومات الخاصة بطبيعة الأرض والبحار بتلك الأصقاع . وقد أنبأنا نبأ صحيحاً عن أصل الجبال الثلجية وراقب معيشة الحيوانات على اختلاف أنواعها واستكشف ثلاثة خلجان غربية أحدهما مضيق هدرن الذى يصل إلى مضيق بيرنج ولذلك فهو طريق شمالى غربى . ولقد قال ديفس أن هناك أربعة خيران يمكن اعتبار أى واحد منها طريق شمالى غربى وقد ثبت قطعياً منذ ذلك الحين . أن اثنين منها يكونان طريقاً شمالياً غربياً . ولقد استكشف أيضاً ساحل لبرادور ورسمه رسماً تخطيطياً . وأما نتائج سفراته العلمية فهى الارشاد إلى وجود مصايد للحيتان وعجول البحر (التى تجود بربح عظيم) فى مضيق ديفس ، واستعمار جزيرة جرينلاند نهائياً .

هنرى هـدسن

اقتفى هـدسن أثر ديفس فى كشف الطريق الشمالى الغربى ، وقد قام بعدة سفرات فـسافر شمالا صوب جرينلند الشرقية وبرهن على استحالة وجود معبر مائى غير متجمد بين الأرض وسبتز برجن ولكنه أرشد مثل سلفه عن وجود مصايد للحيتان وعجول البحر .

وفى سنة ١٦٠٨ زار نوافزمبلا وحاول أن يجد طريقاً شماليا شرقياً وهو الطريق الذى فشل فى إيجاده ولوبى وتشانسلور من قبله ولكنه لم ينجح أيضاً . وفى السنة التالية استخدمته (الشركة) الهولندية التجارية الشرقية فأرسلته إلى نوافزمبلا مرة ثانية ومن ثم أُلحق غربا إلى شاطئ أمريكا الشمالية وسار جنوبا وكشف نهر هـدسن الذى تقع عليه نيو يورك الآن وكانت تسمى نيو امستردام من قبل ، وكان هذا أساسا المستعمرات الهولندية الأمريكية التى استولت عليها انجلترا مدة حكم شارلس الثانى .

وفى سنة ١٦١٠ أمر هـدسن بترك خدمة هولندا وطلب إليه أن يبحر لكشف البحر الجنوبى ولكنه فشل بسبب سوء سلوك بحارته ورجع وفى طريقه وصل إلى إيسلند وقد حصل على مئونة من هناك وأداه شغفه بأن يبحث عن الأرض التى رآها من قبل . ووصل إلى شمالى لبرادور ودخل بعد أيام إلى خليج هـدسن ثم سارت السفينة جنوبا وكانت المياه متجمدة وقل الزاد فثار عليه البحارة ووضعوه وأباه الذى كان معه فى قارب وتركوه فى عرض البحر ولم يعلم شىء عنه فيما بعد .

وليم بفن

شرع وليم بفن في الاستكشاف عام ١٦١٤ ليتم ما قام به ديفس ؛ فسار من رأس عشم سندرسن نحو الشمال واستكشف جزيرة من جملة جزائر تسمى جزائر بفن واستمر في سفره نحو الشمال حتى مضيق ديل ثم سار غربا إلى أن وصل إلى مدسع من الماء سماه مضيق جونس ومضيق آخر في جنوب يسمى مضيق لنسكستر ، واستمر في السير جنوبا واخترق مضيق ديفس ورجع إلى انجلترا . وكانت نتيجة هذه السفرة استكشاف خليج بفن ، وزعم أن مضيق جونس ومضيق لنسكستر عبارة عن خليجين ليس إلا . ولكنهما كانا أساس الاستكشافات الحديثة المهمة في المحيط المتجمد الشمالي .

ولقد أضحت هذه السفرات السالفة إلى كشف خليج هدسن وسواحله والجزائر التي به ، ووسع هذا الاستكشاف نطاق معلوماتنا الجغرافية ومهد السبيل لاستكشافات حديثة وبسببه تأسست شركة عظيمة تدعى شركة خليج هدسن التي لا تزال إلى الآن قائمة وذات تجارة رابحة في القراء .

الفصل السابع عشر

جلبرت ورالي Gilbert and Raleigh

كان لسفرات هوكنز وجلبرت إلى شواطئ خليج مكسكو الفضل في إثارة اهتمام الانجليز بالأرض الواقعة بين مستعمرات الأسبان وجزيرة

نيوفونلند ، وفكروا فى احتلال هذا الحزء من أمريكا (هو الآن الولايات المتحدة) وبخاصة ان سفرات كابت جعلت لهم بعض الحق فى الاستيلاء على هذا الأقليم .

وفى سنة ١٥٨٢ قام جلبرت بسياحة استغرقت سبعة أسابيع ووصل إلى ساطىء نيوفونلند ، ولكن التجار الذين كانوا يشتغلون بصيد السمك هناك منعه وصحبه من دخول الميناء ، بيد أنه عند ما أبرز لهم الأوامر الرسمية التى خولته القيام برحلته أذنوا للسفن بدخول الميناء وأمدوهم بالشئ الكثير من مقومات الحياة . واقد استولى جلبرت على ميناء سنت حون ومائتى فرسخ حولها بأسم ملكة إنجلترا واقد وجد عند فحصه أرض الجزيرة أنها غنية بالفاكهة والسكر وأن جوها دفى لطيف فى الصيف وبارد فى الشتاء .

وبعد مدة وجيزة عزم جلبرت على الرحيل نحو الجنوب ، ولكن البحارة ثاروا عليه وعلى أوامره لأنه منعهم من أن يسيروا سيرة لصوح البحر ، ومن سوء سلوكهم أنهم حاولوا خيانتة . فأرسل إحدى سفنه إلى إنجلترا وعليها المرضى وأقل البحارة شجاعة ، وسار هو بثلاث سفن ففرقت إحداها وكان بها المئونة كما غرق معظم بحارته . فاضطر مرغما على العودة إلى بلاده مصمما على العودة إلى هذه البلاد فى العام التالى . وبعد أن مر على جزائر ازورز عصفت الأمواج بسفينته وغرقت بكل ما فيها ومن فيها وذهبت روحه ضحية شجاعته .

سيرولتر رالى

لقد ساعد رالى جلبت فى رحلته السالفة الذكر ، وساعد أيضا على مد بعثات أخرى بالمال للذهاب إلى الشاطئ (الذى يسمى الآن كرولينا الشمالية) وسميت هذه المستعمرة فرجنيا (العذراء) تشريفا للملكة اليزابث . وكانت بنتيجة هذه السفرات إلى فرجنيا إدخال زراعة الدخان والبطاطس فى إنجلترا .

وكان أهم رحلات رالى تلك التى سافر من أجلها للبحث عن مدينة لدرادو الخيالية التى كان يعتقد وجودها فى جيانه بأمرىكا الجنوبية . وكان يظن أن بها الكثير من الذهب ، وهى فى حوض نهر أرنوكو ، وأن عاھلها يقطن فى قصر من الذهب بالقرب من بحيرة عظيمة ، فأقلع فى سنة ١٥٩٥ ومعه خمس سفن ووصل إلى ترينيداد ثم ترك سفنه ونزل معه مائة من رجاله فى قوارب ليجوبوا نهر أرنوكو . . . وقد أرهقته ورجاله شدة الأمطار وسرعة تيار النهر فاشتد سخطهم وهددوه بالعصيان ولكنه شجعهم حتى وصلوا إلى أكبر فروع دلتا النهر فوجدوا الأسماك والقواكه الكثيرة والطيور المختلفة ذوات الألوان البهيجة . ولقد هاجموا الكثير من المدن الهندية واغتصبوا ما وجدوه من المئونة وعثروا على قبر فى إحدى محلات بعض الهنود فتشجعوا على المثابرة حتى وصلوا إلى جبال جيانه ثم استمر رالى حتى وصل إلى سهل لانوس Lanos أكثر أراضى أمريكا الجنوبية خصبا ونماء .

و بعد أن جمع رالى نماذج من الصخور التى ظهرت بها حبيبات الذهب .
وبعض الأحجار التى كانت تظهر كالماس تأهب للعودة فوصل إلى
ترينيداد بعد أن أجهده عواصف الرعد والريح ورجع إلى إنجلترا فى
آخر السنة .

ولقد رغب فى القيام برحلة أخرى ولكن عند جلوس جيمس الأول
فى سنة ١٦٠٣ على عرش إنجلترا أثار سخط الملك عليه فسجن ثم أفرج
عنه فى سنة ١٦١٧ على أن يقوم بحملة تذهب إلى جيانه للبحث عن الذهب
والفضة . ولكنه لم يستطع تنفيذ أوامر ملكه بدون أن يشب بينه وبين
الأسبان نزاع كان من نتيجته غضب الملك عليه واعدامه بإرضاء
للملك الأسبان .

وتملك إنجلترا الآن إقليما عظيما بالقرب من الأقليم الذى ارتاده رالى ،
وهناك أمارات كثيرة تدل على أن وجود الذهب والماس الذى تكلم عنه
رالى لم يكن مجرد خيال .

الفصل الثامن عشر

المستكشفون الفرنسيون فى كندا : فيرازانو (Verrazano)

وكارتيير (Cartier) وشمبليين (Champlain)

بعد سنوات لم تكن كثيرة أخذ عدد كبير من البحارة يسافر من شمال
فرنسا الغربى وبخاصة من بر يتانى إلى شواطئ نيوفاونلند للاشتراك فى صيد

السملك من هذا الاقليم وظهر اهتمام الفرنسيين بالدنيا الجديدة عند ما تقدم فيرازنو الفلورنسى عام ١٥٣٤ بالذهاب بحملة إلى شاطئ أمريكا الشمالية ليحصل لفرنسا على نصيب في الدنيا الجديدة فاستكشف الساحل الشرقى من أمريكا من أول فلوريدا حتى استكشافات كابت في نيومونلند و بذلك أصبح لانجلترا وأسبانيا والبرتغال الحق في ملكية القارة الأمريكية . وقد تأكد حق فرنسا برحلة كارتير الذى سافر عام ١٥٣٤ واستكشف نهر سانت لورنس وسار فيه حتى موقع مدينة مونتريال الحالى وبذا وضع أساس مستعمرة « فرانس الجديدة » . ولقد قام برحلات كثيرة بعد ذلك وكان آخرها في سنة ١٥٤١ ولقد وصل إلى كوبك وبنى قلعة هناك .



(الفرنسيون في كندا)

ولكن الفضل العظيم في نجاح استعمار الفرنسيين لكندا كان يرجع إلى شمبلين واقد سافر وهو حديث السن إلى جزائر الهند الغربية والمكسيك وأشار على ملك فرنسا بأن يحفر قناة في برزخ فيها :

ولقد سافر شمبلين عام ١٦٠٣ إلى كندا فاستكشف بعض البحيرات العظمى وبسط نفوذ فرنسا على كندا وأسس مدينة كوبك سنة ١٦٠٨ ، وهو أول حاكم فرنسي لكندا واستكشف عام ١٦٠٩ بحيرة شمبلين وأحب تجارة الفراء الرائجة السوق .

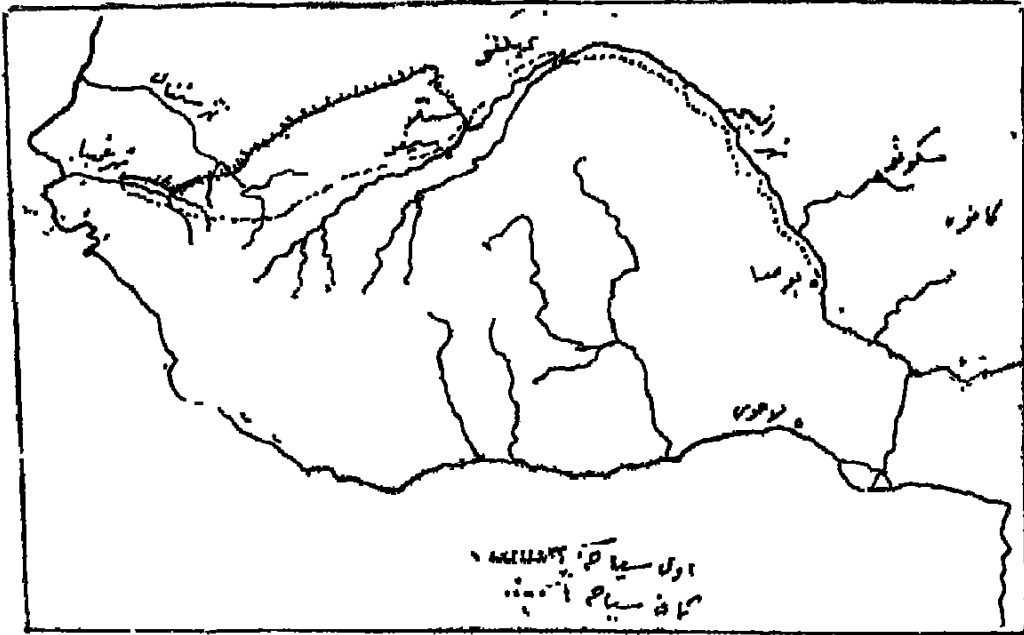
واستمر الفرنسيون في استكشافاتهم في البقاع الداخلة فاستكشف مَرْكْت نهر مَسَسِبي عام ١٦٧٣ وسافر فيه حتى ملتحقه مع أركنساس . واستكشف روبرت دي لاسال نهرى أهاريو وأنوى وسار في نهر مَسِبي حتى مصبه بين سنتي ١٦٨٠—١٦٨٢ وأطلق على الاقليم جميعه لويزيانا وتأسست مدينة نيواورليانس عام ١٧١٦ وبذلك امتد النفوذ الفرنسي من كويك إلى مصب مَسِبي (شكل ١٢)

الفصل التاسع عشر

كشف نهر النيجر — مَنجُو بَارَك

لقد كشفت سواحل افريقية وعرف تخطيطها عند نهاية القرن الخامس عشر ، ولكن ظل داخلها مجهولا كثيرا قبل ذلك العهد لذلك أُنشئت

بلندن عام ١٧٨٨ الجمعية الافريقية وكان غرضها كشف ما غمض من افريقية ، وابرز ما خفي منها وذلك بارسال الكاشفين إلى أواسطها ، وكانت أول جمعية تشكلت ثم انضمت في عام ١٨٣١ إلى الجمعية الجغرافية الملكية التي بعثت أناسا كثيرين لهذا الغرض ، ومن أشهر هؤلاء الدكتور منجو بارك الذي أرسل لاستكشاف نهر النيجر ولقد حاول كشف منبع هذا النهر عن طريق نهر غمبيا فغادر الساحل سنة ١٧٩٥ سائر نحو أعلى نهر غمبيا ومنه إلى نهر النيجر عند بلده سيفو ومن ثم اقتفى أثر النهر إلى سيلا ثم مرض عقب ذلك وعجز عن الوصول إلى تمبكتو ولكنه كشف الأقاليم



سياحات منجو بارك

الواقعة في وسط النهر وعين حدود الصحراء الكبرى الجنوبية ثم عاد

سنة ١٧٩٥ . وفي عام ١٧٩٧ قام بسياحة أخرى إلى هذه الجهة نفسها للغرض عينه فغادر الشاطئ بالقرب من رأس فيرد ثم سار في نهر غمبيا ومنه إلى نهر النيجر عند سيلا وهي منتهى سفراته الأولى ومنها إلى تمبكتو وجال في بلاد حوصة ولكن قضى. نحبه في الجنادل التي عند بوصا وذلك عند ما أوشك أن ينجز عمله وهو اقتفاء أثر النهر حتى مصبه .

وسافر من القاهرة عام ١٨٦٩ فردريك هورنمانى الألمانى المستخدم بالجمعية الأفريقية قاصداً نهر النيجر وقد اتخذ طريقاً عجيباً إذ سافر من القاهرة إلى مرزوق (بطرابلس) مجتازاً الصحراء اللوية ثم ارتاد الأقاليم الواقعة جنوبى طرابلس وبخاصة بلاد برنيو الواقعة في الجنوب الغربى من بحيرة شاد ثم سار إلى أن أغتالته المنون بأقليم غربى نهر النيجر بالقرب من بوصا .

وسار الدكتور أودنى والقائد هيو كلاپرتن والضابط دنهام عام ١٨٢٢ من طرابلس إلى مرزوق وفي العام التالى كشفوا بحيرة شاد ثم مات أودنى في برنو ، وبعد ذلك كشف دنهام نهر شيرى ، وساح كلاپرتن في بلاد حوصا شمالى نهر النيجر ثم رجع الاثنان بعد ذلك إلى طرابلس . وهذه السياحات تعد من أعظم السياحات الناجحة نجاحاً تاماً في وسط أفريقية

وسافر كلاپرتن مرة أخرى عام ١٨٢٥ من لاجوس وبعد أن عبر نهر النيجر وصل إلى سكوتو ثم مات عند زنجيروا الواقعة في الشمال الغربى من ربّا .

وسافر الضابط لانيج عام ١٨٢٥ من سيراليون وعثر على منبع نهر

النيجر و بعد ذلك سافر في الصحراء الكبرى إلى غات في الجنوب الغربي من فزان ومنها إلى تمبكتو و بعد ذلك قتلته قبيلة التوارك عند أوبته .
وفي عام ١٨٢٢ أرسلت الحكومة البريطانية الأخان رتشارد وجون اندر ليتهما استكشاف نهر النيجر وقد نجحا في تتبع مجرى النهر من بوسا (التي مات عندها منجوي بارك) إلى بوسا عند مصبه وأثبتا أن له عدة فروع تصب في خليج بنين ، كما أثبتا (بخلاف ما كان معتقداً إذ ذاك) أنه نهر منفصل عن نهر الكنعو ، وتمسكنا من تسير البواخر في نهر النيجر الأدنى ومهدا سبيلا للتجارة بين الأقاليم الداخلة .

الفصل العشرون

(١) كشف النيل الأزرق — بروس Bruce

إن المصريين الأول الذين عاشوا على ضفاف النيل وكانوا على جانب عظيم من الحضارة لم تكن لهم معرفة تامة على ما يظهر بمجرى هذا النهر الذي اعتمدوا عليه اعتماداً كبيراً . ومن المحتمل أن يكونوا قد عرفوا المجرى الأصلي للنهر حتى الموقع الحالي لمدينة الخرطوم ، كما عرفوا أيضاً مجرى النيل الأزرق . وذلك لصعوبة السير في تلك الأيام في النيل الأبيض جنوبى موقع الخرطوم .

على أن اليونانيين اهتموا اهتماماً عظيماً بمجرى النهر فلقد ساح مؤرخهم

هيرودوت في أعالي النهر وجمع بعض المعلومات عنه غير أنها لم تكن دقيقة
وولقد رسم بطليموس وكان سائحاً مؤرخاً سنة ١٥٠ بعد الميلاد خريطة للنيل



كشف النيل

وظلت هذه المرجع الوحيد حتى آخر القرن الخامس عشر إلى أن أدلى
السائحون الآخرون وبخاصة العرب منهم بمعلومات أخرى . وفي مبدأ

القرن السابع عشر زار أحد رهبان الجزويت البرتغالية بلاد الحبشة وكشف
أحدهم منبع النيل الأزرق سنة ١٦١٣ . ولكن بحثه لم ينشر وظل منبع
النهر غامضاً للمالم . وأخيراً في آخر القرن التاسع عشر جاء رجل كشف
ثانياً ما قام به ذلك الراهب ، ذلك هو جيمس بروس . وكان اسكتلندياً
عينه وليم بت Pitt رئيس حكومة انجلترا قنصلاً عاماً لها في الجزائر . فتعلم
اللغة العربية ثم سافر ميمماً شطر شرقي البحر الأبيض المتوسط وزار القاهرة
في يولييه سنة ١٧٦٨ . واستأذن حاكمها في سياحة في أعالي النيل حتى
الأقصر ومن ثم سافر إلى أسوان ثم عاد إلى قنا ومنها سافر إلى القصير على
شاطئ البحر الأحمر فوصل إليها في فبراير سنة ١٧٦٩ ثم سار في البحر
جنوباً إلى مصوع ومنها سافر إلى بلاد الحبشة فوصل غندر عاصمة الحبشة
إذ ذاك سنة ١٧٧٠ . وبعد أن أقام بها مدة سار إلى البقعة التي عينها غيره
من قبل ووصل إلى البحيرة التي ينبع منها النيل الأزرق .

الفصل الحادي عشر

(٢) النيل الأبيض

برتن Burton واسبيك Speke وجرانت Grant

وبيكر Baker

برتن وإسبيك

لقد أكدت سياحات بروس ما كان معلوما عن النيل الأزرق . أما النيل الأبيض فلم يستكشف الا حتى غند كرو وذلك لأن الجنادل بالقرب منها كانت تحول دون السفر في النهر جنوبيا . وقد عاق المستكشفين أيضا عن سيرهم عدوان الأهالي عليهم فعن لرتشارد برتن الضابط بالجيش الهندي أن أقوم طريق يساعده على الوصول الى النيل الأبيض يكون من ساحل افريقية الشرقى . فذهب مصحوبا بزميل يدعى جون إسبيك الى بلاد الصومال ليقفوا على حقيقة البحيرات العظيمة التي قال عنها المبشرون الذين أقاموا بمبسا غير أنهم لم يتمكنوا من التجول في البلاد لاعتداء الأهالي عليهم ، وقد أمدتهم الجمعية الجغرافية الملكية بأموال ليسافروا مرة أخرى وسافروا في حملة أكبر عددا من الأولى وغادرا زنجبار سنة ١٨٥٧ وسارا غربا حيث كشفوا بحيرة ننجانيقا . وعند أوبتهما كاف برتن زميله أن يستكشف بحيرة واقعة

فى الشمال الشرقى من هذه البحيرة فكشف بحيرة فكتوريا التى ظن أنها منبع النيل الأبيض .

إسبيك وجرانت

سافر إسبيك وجرانت من زنجبار عام ١٨٦٠ ليستزيذا من معلوماتهما عن البحيرات الكبيرة فوصلا إلى الساحل الشرقى من بحيرة فكتوريا وكشفا نيل سمرست الذى يخرج من هذه البحيرة ثم سارا مقتفين أثره حتى غندكرو وهناك قابلا السير صمويل بيكر وزوجته (اللذين كانا سافرا فى النيل من القاهرة) وأخبراه بوجود بحيرة أخرى سمعا عنها من بعض الناس ، ثم تتبععا النيل إلى مدينة الخرطوم ومنها وصلا إلى القاهرة بعد أن حلا تلك المسألة العويصة وهى استكشاف منابع النيل .

السير صمويل بيكر

كشفت السير صمويل بيكر وزوجته هذه البحيرة التى سمعا عنها وذلك فى عام ١٨٦٥ وسمياها بحيرة ألبرت وفى عام ١٨٦٩ قاد هذا المستكشف حملة حربية ومن معه ليستكشف النيل الأعلى ويمنع تجارة الرقيق ولينشىء مراكز حربية مصرية ثم آب عام ١٨٧٣ بعد أن أستولى على هذه البلاد الممتدة إلى خط الاستواء وجعلها تحت سلطان مصر . وبعد أن احتل السودان مرة أخرى صارت معرفتنا بالنيل الأعلى ونهرياته تامة ثم قطع السد الذى يعترض مجرى النيل واصبحت السفن الآن تسير من الخرطوم إلى غندكرو فى مواقيت معلومة .

الفصل الثاني والعشرون

دافيد ليفنجستون David Livingstone

ليس هناك رجل من بين المستكشفين المشهورين في العالم أعظم من ليفنجستون وذلك للعمل الجليل الذي قام به في هذا الصدد من جهة ، وإخلاصه وتنفيذ ما قصد إليه من جهة أخرى . وهو اسكتلندي ولد عام ١٨١٣ وكان في مبدأ حياته عاملا في مصنع لنسج القطن حيث كسب من المال ما ساعده على أن يتلقى دراسة طبية في جامعة جلاسجو . ثم عين طبيبا مبشرا في الصين ، ولكن الحرب نشبت مع أهل هذه البلاد فراض نفسه على السفر إلى جنوب أفريقيا سنة ١٨٤٠ . ونزل في خليج ألجوا . وساح نحو ٧٠ ميل في مركبة تجرها الثيران حتى وصل كورمان في بقشوانالاند . ولقد علم من سكان هذه الجهة خبر وجود أنهار وغابات وبحيرة عظيمة خلف صحراء كلهارى فأخذ يدرس شيئا عن عادات أهلها وأرائهم وقوانينهم . ولغتهم ثم شرع عام ١٨٤٩ في القيام بعدة سفرات وسط أفريقيا جعلته أعظم المستكشفين لهذه القارة .

فغادر كلوين الواقعة بالقرب من منبع نهر لمپوپو في أول يونية من تلك السنة وذلك ليستكشف بحيرة نجامى (الزرافة) التي كانت قبلة المستكشفين زمنا طويلا فسار حول تخوم صحراء كلهارى الشرقية ثم ساح في بعض أجزاء تلك البحيرة التي هي قطب دائرة الأنهار في جنوب أفريقيا . وبعد ذلك عاد إلى كلوين .

وفي عام ١٨٥٠ غادر مقره وذهب شمالاً فرأى نهر زمبيزي . وبعد أن أرسل زوجته وأولاده إلى إنجلترا عزم على استكشاف نهر زمبيزي ليجد طريقاً أقرب إلى بتشوانا الشمالية بدلاً من الطريق الممل الذي يشق وسط صحراء كلها وي مبتدئاً من كيتون أو خليج ألجوا . فسافر في عام ١٨٥٣ في نهر زمبيزي ثم وصل إلى شنتي عام ١٨٥٤ ومن ثم سافر شمالاً بجوار نهر ليمبا وكشف بحيرة ديولوا التي ظن الناس زمناً طويلاً أن نهر الكونغو يتغذى منها ، ولكن ظهر الآن عدم صحة ذلك وقد استمر في سيره إلى كساي أحد نهيرات نهر الكونغو ، ثم اجتاز خط تقسيم المياه المحصور بين حوضي نهر زمبيزي ونهر الكونغو وهو سهل مرتفع تتخلله عدة مستنقعات وبعد أن عبر كساي غرباً في غابة الكونغو وصل إلى نهر كوانجو الذي كان الحد الشرقي لأفريقية الغربية البرتغالية ثم وصل إلى مستعمرة كسانجي في أنجولا وهي مستعمرة تجارية برتغالية . وبعد أن مر بمنظر جميلة في طريقه وصل إلى سنت بول دي لواندا في ٣١ مايو عام ١٨٥٤ . وبعد أن أقام بلواندا مدة أربعة أشهر تقريباً عاد قاصداً أن يقفوا أثر نهر زمبيزي ليعرف مقدار قائده كطريق مستقيم لداخل أفريقيا فكشف فرعان من فروع الزمبيزي (كانو ولوانجو) ثم الشلالات التي أسماها شلالات فكتوريا ثم سار إلى زمبو وهي مستعمرة برتغالية قديمة ومن ثم وصل تته وهي أهم المستعمرات البرتغالية وسار مع النهر حتى كايماي الواقعة عند مصبه .

وعند أوبته إلى إنجلترا عين قنصلاً في ليماي لساحل أفريقية الشرقية جنوب زنجبار كما عين قائد البعثة لاستكشاف أفريقية الشرقية والوسطى .

وفي سنة ١٨٥٥ سار في مصب نهر زمبيزي حتى تته . ولما ألبأته الضرورة إلى أن ينتظر باخرة أخرى هناك عزم على كشف نهر شيرى والبحيرة العظيمة التي زعم الناس أنه ينبع منها فسار في النهر إلى مسافة ٣٢٠ كيلو متراً ولكنه منعه من السير إلى أبعد من هذا شلالات سماها شلالات مرشيسون . وفي تلك السنة أجهد نفسه مرة أخرى حتى كشف بحيرة نياسا وكشف أثناء مسيره بحيرة شروة جنوب بحيرة نياسا ثم عاد إلى تته .

وفي سنة ١٨٦٠ ابتدأ يتجول في الأقاليم الداخلة ثم أعاد النظر في شلالات فكتوريا ومنها رجع إلى تته حيث وصلت باخرة وقتئذ من إنجلترا .

وكانت رغبته شديدة في استكشاف نهر رفوما ليتحقق ما إذا كان هذا النهر صالحاً للملاحة حتى قلب نياسا لند التي لم تكن تحت سلطان البرتغاليين مباشرة غير أن قلة المياه فيه عاكسته عن السير فيه إلا إلى مسافة قصيرة . ثم عاد إلى زمبيزي وسار في نهر شيرى واستكشف الساحل الغربي لبحيرة نياسا .

وبعد أن أقام لفنجستون مدة بإنجلترا عاد ثانية إلى زنجبار وسار نحو دوفوما عام ١٨٦٦ وكان غرضه السير فيه جنوب بحيرة تنجانيقا ليعبر الحدود الجنوبية لجوز نهر النيل . فاقتفى أثر نهر رفوما حتى وصل إلى نهاية بحيرة نياسا في الجنوب ومن ثم سار نحو الشمال وعبر نهر لوانجو وكشف نهر تشامبيزي وهو عبارة عن الجزء الأعلى من مجرى نهر الكنفو الذي يصب في بحيرة بنجويلو . وفي سنة ١٨٦٧ كشف بحيرة مويرد ثم اخترق بلاد كازمبي

وكشف بحيرة بنجويلو . وبعد أن سبر نصفها الشمالى سار إلى أوجيجى ثم عبر بحيرة تنجانيقا حتى وصل إلى نهر لولا با (وهو جزء من الكنفو) ولكن المرض ألجأه إلى العودة إلى أوجيجى .

ولما طالت مدة تغيب لفنجستون بأواسط أفريقيا عن العالم المتعدين ابتدأ يذب في قلوبهم القلق عليه فأرسلت بعثة تحت رئاسة استانلى للبحث عنه فوجده عند اوجيجى فى شهر نوفمبر سنة ١٨٧١ . ثم سار كل من استانلى ولفنجستون معا فى سفينه وجالا فى شمال بحيرة تنجانيقا ولم يجدا لها منفذا ، ثم أبى لفنجستون أن يرجع مع استانلى وراقه حتى طابوره حيث افترقا وأخذ استانلى كل أوراق ومذكرات لفنجستون معه . وقد أصغر لفنجستون على رأيه محاولا استكشاف منابع نهر النيل وظن أن لولا با لا بد أن يكون هذا النيل الأعلى . ثم غادر طابوره قاصداً أتمام كشفه بعد أن أخذ المؤن والذخائر التى جلبتها له بعثة الجمعية الجغرافية الملكية ؛ ومن ثم مر بجنوب بحيرة تنجانيقا الشرقى حتى وصل الى نهر كالنجوسى الذى يصب فى بحيرة مويرو ، ومن ثم عبر المسبقةات التى فى شمال بحيرة بنجويلو ثم عبر نهر تشامبىزى كذلك وسار حول بحيرة بنجويلو الشرقية حتى وصل إلى تشيتمبو جنوب تلك البحيرة حيث حضرته الوفاة فى أول مايو سنة ١٨٣٣ فنقل اتباعه جثته وكان ذلك بالقرب من طابوره وأرسلت الجثة الى انجلترا حيث دفنت فى كنيسة وستمنستر سنة ١٨٧٤ ، ولكن أعماله فى محاولة تخفيف آلام السكان الوطنيين البؤساء ما زالت خالدة وما زال اسمه حتى اليوم فى الانجزاء السحيقة من هذه القارة يذكر باحترام عندهم .

الفصل الثالث والعشرون

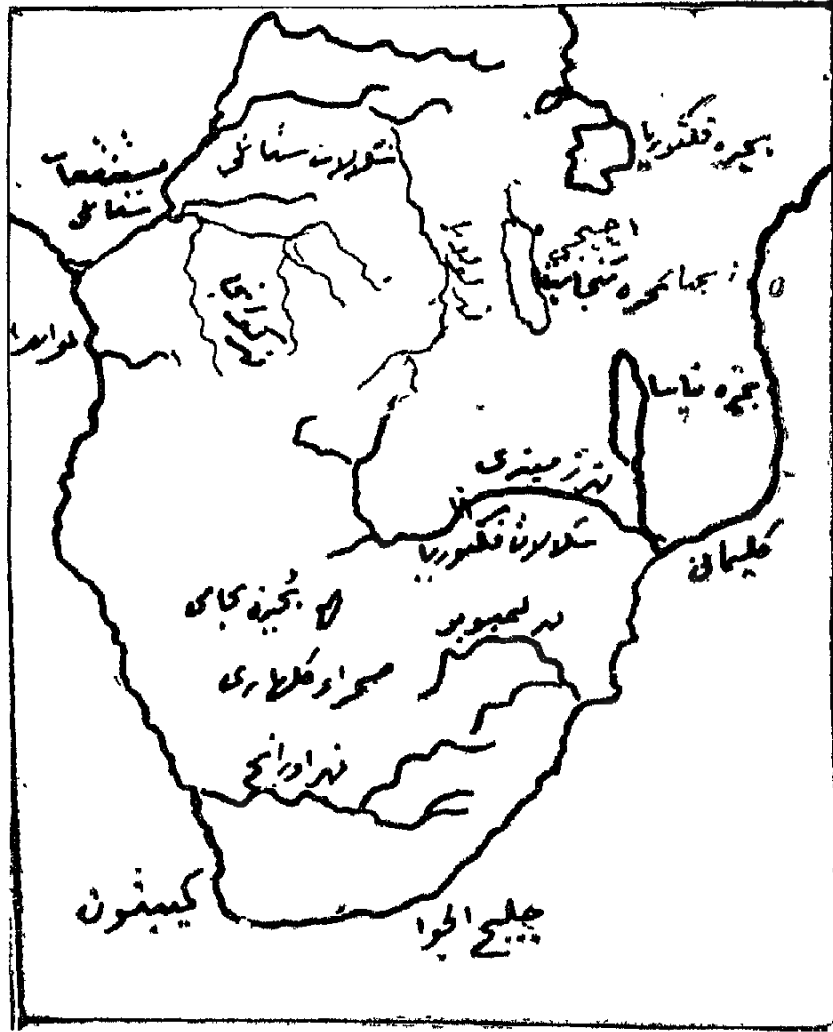
استانلى ونهر الكنفو

كانت نتيجة سياحات استانلى أن كشف حوض نهر الكنفو بأمله وأسس ولاية الكنفو لخرة ثم تداخلت بعد ذلك بعض الدول الأوروبية الأخرى فى الشؤون الأفريقية .

وصل استانلى زنجبار فى سنة ١٨٧١ وغادر بغامويو وبعد ملاقات كثير من المشاق من الصعاب الناشئة بين العرب والوطنيين من الأحقاد وجد لفنجستون عند أوجيجى ثم سارا وأثبتا أنه لا علاقة بين نهر النيل وبحيرة تنجانيقا بل أن كلا منهما بمفرد عن الآخر ثم رجع استانلى إلى بغامويو كما سبق ذكره .

ولما وفق استانلى للعثور على تفنجستون ذاع صيته وازدادت شهرته ولما سمع لفنجستون بوفاة استانلى عزم على اتمام عمل صديقه فصار من بغامويو سنة ١٨٧٤ وطاف حول بحيرة فكتوريا وسبرها ورسمها رسماً تخطيطياً يقرب من شكلها الحقيقى المرسوم على الخرائط الحالية ثم كشف بحيرة البرت إدوار وزاد العالم علماً عن نهر كاجيرا أو نيل الكسندرا . ثم طاف حول بحيرة تنجانيقا ودقق النظر فى منفذها وهو نهر الكوجه حتى وصل إلى نهر لولا با عند نيانجوى وهى أبعد نقطة وصل إليها لفنجستون ثم اقتفى أثر مجراه كله حتى بلغ أبعد نقطة على هذا النهر وبعد مضى ألف يوم

من مغادرة الساحل الشرقى دخل بلده بنانا على الساحل الأطلسى . وكان
إذ ذلك قد اقتفى أثر نهر الكنفو حتى البحر وبرهن على أن تشامبىزى
ولوا بولا ، ولولا با ليست الأجزاء من نهر الكنفو .



(رحلات لفنجستون وستانلى فى نهر الكنفو)

وكانت نتيجة جميع هذه المشاق الهائلة والهمم التى صرفت فى سبيل
علم تقويم البلدان إن ازدادت معارفنا الجغرافية عن أحوال أفريقيا .

وادخلت جميع الأراضي التي كشفها الانجليز تحت النفوذ البريطاني . وكانت نتيجة ذلك بسط الحماية على أفريقية الشرقية وأوغنده . لذلك كانت مآثر المستكشفين البريطانيين عظيمة جداً . كيف لا وقد تغلبوا على قوى الطبيعة وقهروها بما بذلوه من المساعي ، ومن تلك المآثر مد الخطوط الحديدية ما بين ممبسا وأوغندا ومن لاجوس إلى كانو ومن كيتون إلى الغابات الكثيفة بليميريا .

هذا وأن الاعتناء بدراس الأمراض المنتشرة هناك واستنباط أدويتها لا يزال مستمراً إلى الآن كما أن الاعتناء بقوانين الصحة لطف من قساوة المناخ وفساده وما ينجم عنه من النتائج السيئة .

واقدرت استانلي أنظار العالم التجارى بما أذاعه عن أنهار افريقية العظيمة الصالحة للملاحة التي تساعد على الوصول إلى داخل القارة وعن ثروة البلاد التي جلبها في سياحاته الافريقية .

فبعث ملك بلجيكا رساله لمقابلة استانلي ثم اتفق معه على إرسال بعثة إلى افريقية لم يكن الغرض منها توسيع نطاق العلوم فحسب بل توسيع دائرة التجارة أيضاً وترقية أحوال الوطنيين الافريقيين . وكان استانلي من أوائل من أدرك ما سيكون لحوض نهر الكونغو من الأهمية في المستقبل . فوصل استانلي نهر الكونغو عام ١٨٧٩ ولكنه وجد أن الفرنسيين قد احتلوا الجزء الواقع حول مصبه ، فمهد طريقاً من نهر الكونغو الأعلى وأبرم معاهدات شتى مع كثير من رؤساء القبائل وأسس أربعين محطة على نهر الكونغو

ونهباته حتى شلالات استانلى ، وقصارى الأمر أنه وضع أساس ولاية الكنفو الحرة وأقام هناك حتى سنة ١٨٨٤ .

وفى مؤتمر برلين الذى انعقد فيما بين سنتى ١٨٨٤ ، ١٨٨١ أشهر استقلال ولاية الكنفو الحرة وجعل ليوبلد ملك البجليك ملكا عليها . ولما نقضت شروط معاهدة برلين المذكورة تولت الحكومة البلجيكية إدارة شئون الكنفو بنفسها وسارت الكنفو مستعمرة بلجيكية .

وكانت آخر بعثة سار فيها استانلى إلى افريقية هى البعثة التى ذهبت لنجدة أمين باشا الحاكم المصرى للولايات الاستوائية وكانت ثورة الدراويش بالسودان قد قطعت الملائق والمواصلات بينه وبين مصر .

فبعد استانلى نهر الكنفو سنة ١٨٨٧ مستصحباً معه قوة من الجنود السودانية ثم اخترق غابة الكنفو المظلى فصادف أقواماً صغار الجسم يعرفون بالأقزام الى أن التقى بأمين باشا عند سواحل بحر البرت فراد نهر سمليكى وكشف جبال روفزورى ثم سار حتى وصل إلى بغاموبو على الساحل الشرقى مستصحباً أمين معه . ولا يخفى ما لهذه البعثة من الأهمية العظمى . والنتائج الكبرى فى كشف افريقية وإدخال الحضارة إليها .

الفصل الرابع والعشرون

كشف سواحل استراليا تورز Torres وطمنن Tasman

ودمبير Dampier

بما يعجب له أن القارة العظيمة الجنوبية كان يعتقد بوجودها مدة قرون عدة قبل أن تكشف : ففي القرون الوسطى كان الاعتقاد السائد أنه لا بد من وجود جزء من الدنيا في الجنوب ليكون متزنا مع الجزء الشمالى ، وفي الخرائط السكثيرة التى رسمت فى هذه الأيام كان من المعتاد بعد كشف امريكا الجنوبية أن ترسم القارة الجنوبية كأنها امتداد لهذه القارة في جنوب افريقية ومخترقة المحيط الهادى الجنوبى ولكن رحلة مجلان برهنت أن امريكا الجنوبية تنتهى عند مضيق مجلان وقد ثبت فيما بعد وجود قارة جنوبية Terra Australis ، أو الأرض الجنوبية .

ولقد علمنا فيما سبق كيف أن السامحين البرتغاليين والأسبان سافروا في المحيط الهادى وكيف كان غرض البرتغاليين ترقية تجارة التوابل مع جزائر الهند الشرقية ، أما الأسبان فكان جل همهم كشف أراضى جديدة ولذا سافر كثير من بحارتهم في القرن السادس عشر من غرب امريكا الى المحيط الهادى الجنوبى وكانت نتيجة ذلك كشف عدة جزائر منها جزائر ماركويزا ونيوهبريده التى وصفت بأنها جزء من القارة الجنوبية ومن هؤلاء دى كويروس De Quiros وتورز Torres فى سنة ١٦٠٥ سافرا للبحث

عن القارة الجنوبية وبعد أن مرا بجزائر نيوهبريدة سميا أكبر جزرها « استراليا الروح المقدسة » وبذا استعملت كلمة استراليا لأول مرة ثم غادر دى كويروس زميله وعاد إلى مكسكو . أما تونزافا فبحر غربا وعبر المضيق المسمى باسمه والذي يفصل بين غانة الجديدة واستراليا ولكن الأسبان أبقوا الأمر سرا حتى سنة ١٧٩٦ .

وفي أثناء ذلك طرد الهولنديون البرتغاليين من جزائر التوابل وجزائر الهند الشرقية الأخرى ثم أخذوا يبحثون عن القارة الجنوبية . وبين سنة ١٦٠٦ و ١٦٣٠ رست سفن هولندية على السواحل الشمالية والجنوبية والغربية من هذه القارة كما يستدل على ذلك من الأسماء الهولندية التي ما زالت باقية بها مثل رأس ليون وخليج كرنيتاريا .

وكان أكبر الكاشفين الهولنديين أبل طمسن فلقد ارسل في سنة ١٩٤٠ من بتافيا في جاوه إلى القارة الجنوبية فبحر عبر المحيط الهندي إلى جزائر موريشس ثم قفل راجعا صوب الجنوب فلم يصل إلى استراليا ولكنه وصل إلى جزيرة طسمانيا ومنها سافر إلى الشرق حتى وصل إلى الجزيرة الجنوبية من نيوزيلند ومن ثم عاد إلى بتافيا . وفي سنة ١٦١٤ سافر طمسن مرة ثانية ولكنه لم يكشف غير الشاطئ الشمالي ، ولم يتسن له عبر مضيق ترز إلى الشرق وبذلك انتهى كشف الهولنديين عن استراليا . ووقفت جميع أعمال الكشف مدة طويلة ولم يستطع أحد كشف ما غمض من هذه القارة حتى أخذ أحد لصوص البحر المدعو دمبير Dampier الأمر على عاتقه : ففي النصف الأخير من القرن السابع عشر هاجم البحارة الانجليز

شواطئ أمريكا الأسبانية وبخاطبة الشواطئ الغربية وقد اشترك دمبيير في هذه الحملات . وكان أهم رحلاته إلى الشاطئ الغربي لأستراليا عام ١٦٨٨ ، ولم يقتنع بكشف الشاطئ بل جعل جل عمله استكشاف الأراضي الداخلة ، وكتب وصفا عن السكان والغلات . ولقد عاد إل انحلتته ونشر وصفه فأثار بذلك همّة أهلها فأعدت له سفينة أخرى وتكلفت السفر مرة ثانية فكان حول جنوب افريقية ومنها إلى خليج شارك في الشاطئ الغربي لأستراليا ، وبعد أن ساح آلاف الأميال ووجد الأرض جرداء رجع إلى جزيرة تيمور (بالهند الشرقية) للحصول على المثونة في ثم سار حول الشاطئ الشمالي من غانة الجديدة فاحصا الساحل فحصى جيدا ثم عاد إلى بتافيا . ولتدخل الانجليز من ذلك عدة سنوات لا يشتركون في أمور الكشف في البحار الجنوبية .

وقد اتخذ الخطوة التالية لكشف الغامض من إسترااليا الكابتن كوك المشهور الذي سنتناول سفراته فيما يلي :

الفصل الخامس والعشرون

الكابتن كوك (Captain Cook)

كان الغرض من الاستكشافات قبل القرن الثامن عشر زيادة الثروة ورواج التجارة فصار ذلك الغرض في القرن الثامن عشر حب البحث وراء الحقائق العلمية .

وفي أوائل القرن الثامن عشر كان أغلب بقاع الدنيا وسواحلها معروفا بالإجمال لجميع الناس تقريبا ولم يبق إلا السعى وراء ثلاثة أمور :

- (أ) استكشاف سواحل آسيا الشمالية الشرقية .
- (ب) استكشاف سواحل أمريكا الشمالية الغربية .
- (ج) إثبات وجود القارة التي قال بها بطليموس أو عدم وجودها

وقد أتم الكابتن كوك أمرين من هذه الثلاثة :

السفرة الأولى

غادر الكابتن كوك نهر التمز عام ١٧٦٨ بقصد الذهاب إلى نصف الكرة الجنوبي ليدون ملاحظاته على مرور الزهرة أمام قرص الشمس وكان ينتظر وقوع ذلك عام ١٧٦٩ ويمكن مشاهدته في نصف الكرة المذكور فمر بمديره وريوده زهناريو وسار حول رأس هرن ثم وصل إلى جزائر سوسيتي .

وبعد أن رصد مروز الزهرة استكشف عدة جزر أطلق عليها جزائر

سنوسيتى ثم سار نحو الجنوبي واستكشف نيوزيلند وبرهن أنها ليست جزء من قارة جنوبية واستولى عليها باسم جورج الثالث ملك الانجليز .
وسمى المضيق بين الجزيرتين الشمالية والجنوبية مضيق كوك ثم سار نحو الغرب ورما على امتراليا ونزل ببقعة خصبة تسمى خليخ بوتنى ومن ثم استكشف جميع الساحل الشرقى واستولى عليه وسماه نيوزسوث ويلز ثم قصد غانة الجديدة مخترقا مضيق تورز ثم وصل إلى بتافيا فرأس عشم الخير ومنها إلى انجلترا سنة ١٧٧١ وبذا أتم سفرته الأولى حول الدنيا وتحقق من أن نيوزيلند وامتراليا ليستا جزءاً من أية قارة جنوبية .

السفرة الثانية

كان غرضه من هذه السفرة المسير حول الدنيا في الأقاليم الجنوبية الواقعة في أقصى خطوط العرض وخوض غمار المحيط الهادى والتوغل في بقاءه المختلفة التي لم يطارقها أحد قبله للتحقق من وجود قارة جنوبية أو من عدم وجودها فغادر انجلترا عام ١٧٧٢ ثم سار متجها نحو الجنوب ولكن الثلوج اعترضته فسار حول تلك الثلوج ثم عاد إلى نيوزيلند ثم طاف في المحيط الهادى واستكشف عدة جزائر أهمها هبريدة الجديدة وكلودنيا الجديدة ونرماك ثم سار من نيوزيلند صوب الشرق إلى مضيق مجلان ثم سار نحو الجنوب متجنباً الثلوج واستكشف ساحلا مرتفعا سماه ثيول . وكانت أقصى أرض في الجنوب استكشفت إذ ذاك . ولقد استكشف المحيط الجنوبي استكشافا دقيقا وجال في جميع بقاعة ما بين ٩° ، ٧١° جنوبا

وقطع ١٢٠٧٥٠ كيلو مترا وبرهن على عدم وجود قارة جنوبية ثم عاد الى انجلترا .

السفرة الثالثة

كان الغرض من هذه السفرة استكشاف السواحل الشمالية الغربية من أمريكا الى أقصى ما وصل اليه دريك شمالا والبحث عن طريق موصل من المحيط الهادى الى المحيط الأطلس وللتب في أمر ارتباط أمريكا وأسيا بالضبط فابتدأ كوك عام ١٧٧٦ وسار إلى بلاد الرأس فكان ديمن لند فنيوزيلند ووصل إلى جزائر سوسيتى واستكشف جزائر سندوتش ووصل إلى ساحل أمريكا عند خط عرض $٤٤^{\circ} ٣١'$ شمالا واستكشف الساحل واستولى عليه وسمى أقصى رأس في شمال أمريكا الغربى برنس اف ويلز ثم حقق المسافة بين القارتين بالضبط وعبر مضيق برنج ثانياً إلى الشرق ووصل إلى خط عرض $٧٠^{\circ} ٤١'$ شمالا ولما اعترضته الثلوج عاد في طريقه إلى جزائر سندوتش حيث قتل عام ١٧٧٩ .

نتائج سفرات كوك

لقد أثبت كوك عدم وجود قارة جنوبية وأوضح كذلك استحالة العبور بطريق شمالى بين المحيط الهادى الأطلسى ، وصحح مواضع من الجزائر التى كانت استكشفت من قبل وعين اتجاهات التيارات وقوتها ومواقيت المد والجزر وأيد قرب آسيا من أمريكا . وأوضح العلاقات التى بين سكان

جزائري المحيط الهادي في العصبية واللغة ، وكذلك بين سكان السكاوسبيريا الشرقية من جهة وسكان جرينلاند والأسكيمو من جهة أخرى وأضاف ١٣٠٠ نوع جديد من النبات على الأنواع التي كانت معروفة ، وبين طرقاً مفيدة لحفظ حياة الملاحين وصحتهم أثناء السمرات الطويلة

الفصل السادس والعشرون

تسمة البحث في كشف أستراليا

باس وفلندز (Bass and Flinders) وسترت (Sturt) وستورت
Stuart وأير Eyre وبرك Burke وولز Wills .

كلف ماثيو فلندز عام ١٧٩٨ هو وباس أن يبرهننا قطعياً على أن
فان ديمن لاند جزيرة وذلك بالسير حولها مقاماً بما كلفا به ثم سار فلندز
سنة ١٨٠١ لاستكشاف سواحل أستراليا استكشافاً دقيقاً فسار شرقاً حول
شواطئها من رأس ليون واستكشف الجزائر والفجوات التي أهمها خليج
سيفسر وسنت فلنسنت

وكذلك استكشف پورت فلند استكشافاً دقيقاً ووصل إلى پورت
جكسن واستكشف كذلك الحاجز المرجاني العظيم وسواحل خليج

كر بنتاريا والجزر التي به وقام بسياسة تامة حول أستراليا واستكشف واحلها بدقة .

ومن الأبطال الذين ترددهوا على أستراليا وجابوا جبهاتها وكشفوا سر ما غمض منها وعرفوا قابليتها للاستعمار « لوسون » وهو أول من اجتاز جبال بلو عام ١٨١٣ . ومنهم القائد ستيرت (Sturt) وقد تبع مجرى نهري مكوارى ودارلنج عام ١٨٢٨ كما سار في نهري مري حتى بحيرة الكسندرينا .

وكشف أير Eyre عام ١٨٤٠ البحيرات الملحة الواقعة شمال خليج سبنسر . ومن أشهرهم أيضا ستوارت (Stuart) وقد حاول مراراً أن يخترق القارة من الجنوب إلى الشمال إلى أن تم له ذلك عام ١٨٦٢ ومُدد خط تلغرافى عام ١٨٧٢ فى الطريق التى سلكها ستوارت . وعبر برك (Burke) وولز (Wells) القارة من ملبورن إلى خليج كرننتاريا غير أن المنية أدركتهما فى الطريق عند عودتهما .

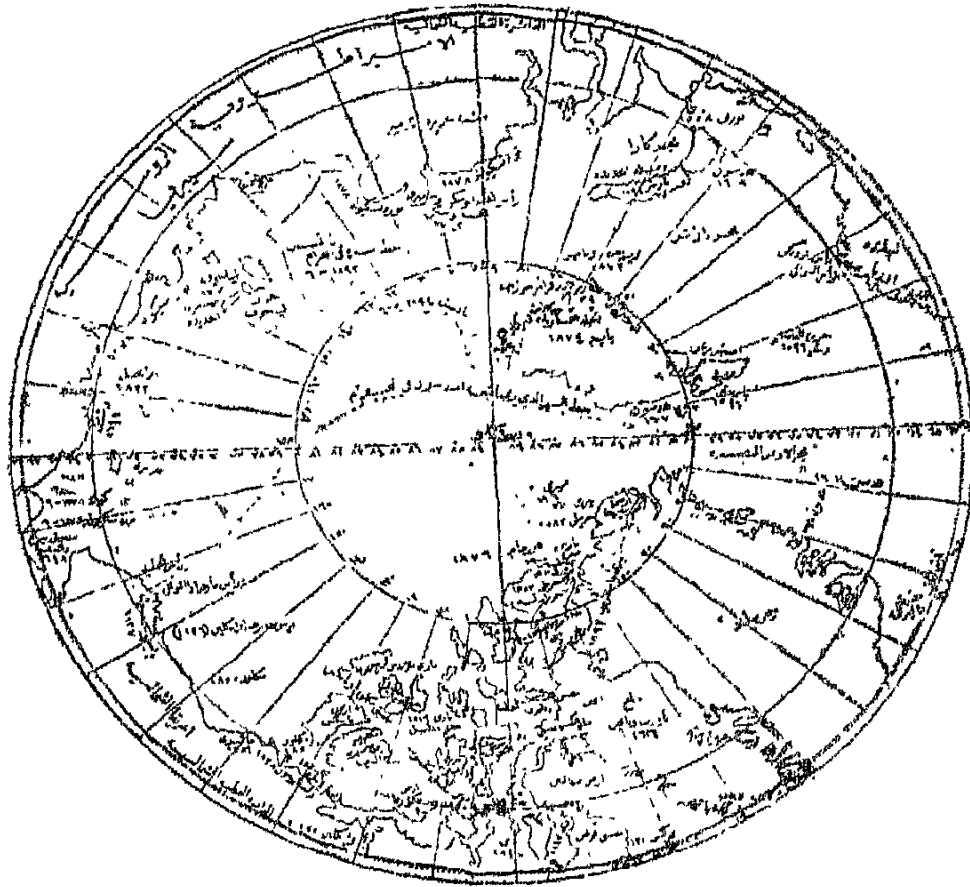
استكشاف الأقاليم القطبية

(١) أقاليم المحيط المتجمد الشمالى

كان استكشاف الأقاليم القطبية فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وقد أفضى البحث عن الطريق الشمالى الغربى إلى كثير من الاستكشافات بالقرب من الدائرة القطبية الشمالية ودعا إلى استكشاف القطب الشمالى . وقد قامت بعثتان عام ١٨١٨ إحداهما تحت قيادة رُس Ross والأخرى تحت رئاسة برى لاستكشاف طريق شمالى غربى والوصول إلى القطب الشمالى فزادت بأبحاثهما المعلومات العلمية التى كانت معروفة من قبل وإن كانا لم يوصلا إلى الغرض المقصود . ثم فى سنة ١٨٢٠ أرسلت بعثتان أخريان إحداهما فى البر تحت رئاسة فرانكلين والأخرى فى البحر تحت قيادة برى فاكشف برى الأرخبيل المسمى باسمه ووصل إلى خط طول ١١٤ ° غربا فاعترضت سبيله الثلوج فى المضيق الواقع شمال بنكس لندوهذه الأرض ولولا هاتان البعثتان لوجد ضالته المذشودة واستكشف طريقا شماليا غربيا . أما فرانكلين فكان قصده استكشاف سواحل أمريكا الشمالية ولم يكن معروفا منها سوى جبهتين وهما مصبا مكزى وكبرمين . فسار فى نهر كبرمين واستكشف أغلب بقاع الساحل شرق مصبه . ثم أنه سار سنة ١٨٢٥ إلى مصب نهر مكزى وأرسل أحد أتباعه لاستكشاف الساحل بين نهري مكزى وكبرمين .

ورأس السيرجون رُس عام ١٨٢٩ حملة فر بخليج ريچنت من مضيق

لنكستر واخترق ابن أخيه جون رُس المضيق المسمى باسمه واستكشف
القطب المغناطيسى الشمالى ومكث السير جون رس خمس سنين بالدائرة
القطبية الشمالية . وسار السير جون فرانكلين عام ١٨٤٥ فى حملة أخرى
ولكنه هلك هو ومن معه وأرسلت أربعون بعثة ما بين سنتى ١٨٤٨
وعام ١٨٥٧ للبحث عنه وقد نجم عن إرسال كثير من الاستكشافات
الجديدة منها اختراق الطريق الشمالى الغربى عام ١٨٥٠ واستكشاف
الأراضى الواقعة فى الغرب وسواحل جرينلند فى الشرق .



كشف القطب الشمالى

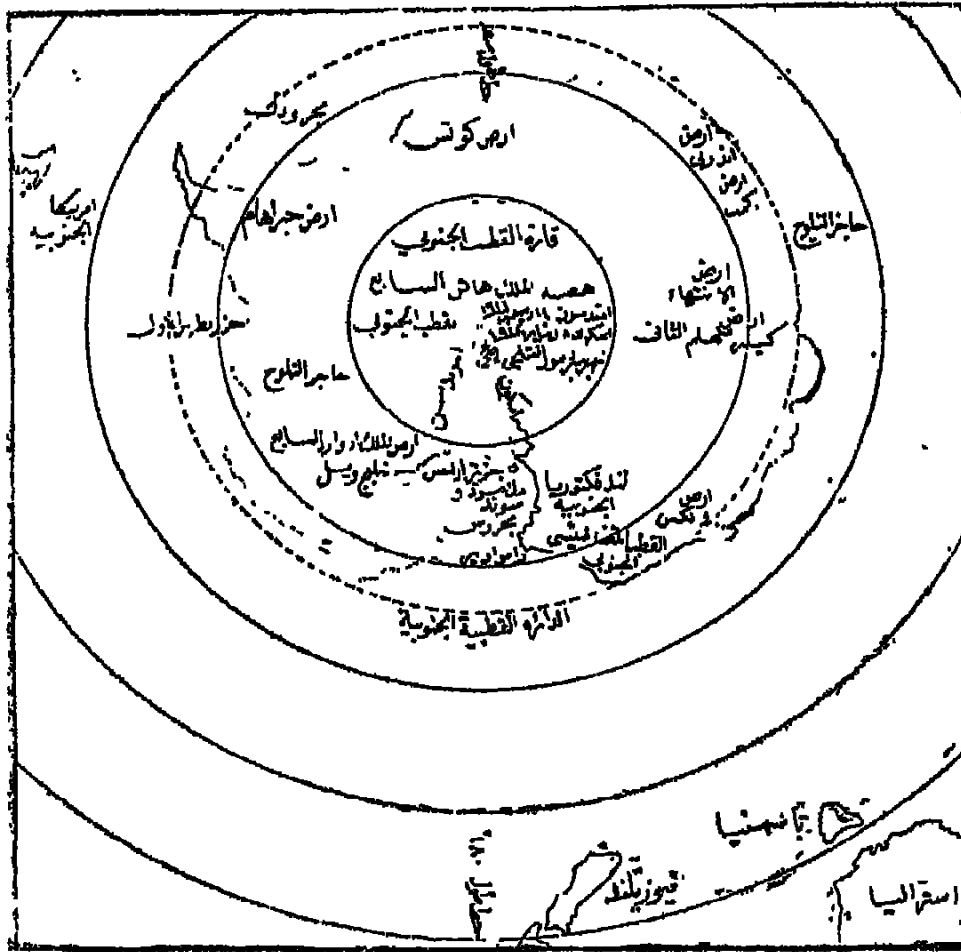
واستكشفت بعثة نمساوية عام ١٨٧٤ أعظم الأراضي المعروفة ارتفاعا وهي فرنس جوسف لند . وعبر الضابط الأمريكي پيرى عام ١٨٩٢ شمال جزيرة جرينلند عند خط عرض $٣٧^{\circ} ٨١'$ شمالا وتحقق أن جرينلند جزيره ووصل إلى خط عرض $٥٠^{\circ} ٨٣'$ شمال جرينلند عام ١٨٩٤ وإلى خط عرض $١٧^{\circ} ٨٤'$ شمالا عام ١٩٠٢ .

ولما أيقن نينس-ن النرويجي أن هناك تيارا مستمرا من الثلوج في المحيط المتجمد الشمالى من ساحل سيبيريا الشمالى الشرقى أشار بصنع سفينة تقاوم ضغط الثلوج وعزم على أن يجعل الثلوج تحمله إلى القطب الشمالى إلى أبعد مسافة يمكن حمله إليها حتى يصل إلى أقرب نقطة من القطب .

ولما وجد أن الثلوج لم تقربه كثيراً من القطب ترك سفينته وسار حتى وصل إلى عرض $١٤^{\circ} ٨٦'$ بحيث لم يبق بينه وبين القطب سوى ٤٣٠ كيلو متر ووصل الدوق أبروزي الايطالى ما بين عامى ١٩٠٣، ١٩٠٦ إلى خط عرض $٣٣^{\circ} ٨٦'$ شمالا وما بين سنتى ١٩٠٣ ، ١٩٠٦ اهتدى أمونيدسن النرويجي الذى وصل إلى القطب الجنوبي فيما بعد إلى طريق شمالى غربى وفي سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ وصل الضابط پيرى إلى خط عرض $٦^{\circ} ٨٧'$ شمالا وفي السادس من إبريل سنة ١٩٠٩ وصل إلى القطب الشمالى .

(١) الأقاليم القطبية الجنوبية

كان الكابتن كوك أول من اجتاز الدائرة القطبية الجنوبية وذلك في أثناء بحته عن قارة جنوبية ووصل إلى الدرجة ١٠° ٧١° جنوبا واستنتج مما شاهده أنه لو كانت هناك قارة فلا بد أن تكون حول القطب الجنوبي وعلى ذلك فالوصول إليها عسير لتراكم الثلوج وقد مر في سفره بسوث جورجيا ، وبأرخبيل جزر سندوتش ، ومع ذلك فتاريخ الاستكشافات القطبية الجنوبية يبتدىء من المصور الحديثة فقط فاستكشف وليم سميث جزر سوث شتلند عام ١٨١٩ واستكشف الكابتن بادل المشتغل بصيد السمك المجول البحرية جزائر أوركني الجنوبية عام ١٨٢١ وأرسل اسكندر الأول قيصرا لروسيا عام ١٨١٩ بعثه تحت قيادة بلنحسها وزن لتتيم أعال كوك فوصل إلى سوث جورجيا واستكشف ساحلها الجنوبي ، ثم دخل الدائرة القطبية الجنوبية ووصلت قدمه بعض الأقاليم القطبية الجنوبية التي لم يزرها فأحد قبله فاستكشف أقصى إقليم معروف في الجنوب وهو جزيرة بطرس الأول وأول إقليم معروف داخل الدائرة القطبية الجنوبية ومن ثم استكشف أرض اسكندر الأول فكانت سفرته تكملة لسفرة كوك. وفي عام ١٨٢٢ وصل جيمس ودل بينما كان يبحث عن مصايد عجول البحر إلى مسافة ٣٤٥ كيلومترا أقرب إلى القطب مما وصل إليه كوك فكان خط العرض الذي وصل إليه هو ١٥° ٧٤° جنوبا أي على مسافة ١٥٢٣ كيلومترا من القطب ويعرف البحر الذي هناك ببحر ودل .



كشف القطب الجنوبي

وقد اشتغلت بالاستكشافات شركة إندربى واخوته بلندن حتى أنها أرسلت جون بسكو عام ١٨٣٠ وكلفته أن يجمع بين الاستكشافات وعجول البحر فمثر على الأرض التى تسمى الآن اندربى لند واستكشف جزيرة بسكو وجريهم لند . وكانت أهم السفرات إلى الأقطار الجنوبية إلى هذا الوقت سفرة القائد جيمس رُس عام ١٨٤٠ وكان هو أول من اخترق الثلوج ونحرت سفينته فى بحر رأس واستكشف فكتوريا لند وهى أول أرض استكشفت مدة حكم الملكة فكتوريا . ثم استكشف كثيرا من الجبال والقمم وسماها بأسماء خاصة بها ومنها بركانا إيربس وتور . ووصل إلى خط عرض $78^{\circ} 9'$ جنوبا أى $3^{\circ} 54'$ أبعد مما وصل إليه ودل واستكشف القطب المغناطيسى الجنوبى . وارسل السير جورج ، نيونز الذى زار فكتوريا لند عام ١٨٩٤ إلى الأقاليم القطبية الجنوبية عام ١٨٩٨ فوصل إلى خط عرض $78^{\circ} 50'$ جنوبا وذلك أبعد مما وصل إليه رس وعلى مسافة ١٠٧٩ كيلو مترا من القطب وكان هو ورجاله أول من قضى فصل الشتاء فى القارة المتجمدة الجنوبية .

واستكشف الكابتن سكت عام ١٩٠١ أرض ادوارد السابع ووصل إلى خط عرض $82^{\circ} 17'$ جنوبا أى أنه كان على بعد ٧٤٥ كيلو مترا من القطب . ثم ظهر له أن فكتوريا لند عبارة عن هضبة متسعة . واستكشفت بعثة ألمانية عام ١٩٠١ أرض كيسرفيهلم الثانى . وأقام الضابط شاكتين العلم البريطانى عام ١٩٠٨ فى خط عرض $88^{\circ} 23'$ جنوبا . أى على بعد

١٠٠٠ كيلو متر من القطب الجنوبي . واستكشف شاكلتن سلسلة جبال عظيمة ممتدة في الشمال الشرقي وأربع سلاسل أخرى وصعد على بركان إربس واستكشف فوهاتة وعين موضع القطب المغناطيسي الجنوبي عند خط $72^{\circ} 25'$ جنوبا شرقا وخط طول $155^{\circ} 16'$ واستكشف 72 كيلو مترا من أرض فكتوريا لند ودونها في انخراط . وسافر السكاثن سكت عام ١٩١٠ قاصدا القطب الجنوبي ، وبعد أن ابتدأ بزمن يسير بادر أموندسن النرويجي إلى القطب الجنوبي ليكون له شرف الأسبقية إليه فنجح ووصل إليه في الرابع عشر من شهر ديسمبر عام ١٩١١ وسمى الهضبة باسم ملكه أي هضبة هاكن السابع ، ووصل سكت وأربعة من رجاله إلى القطب الجنوبي في الثامن عشر من ديسمبر عام ١٩١٢ ولسكنهم هلكوا في الطريق عند عودتهم .

هذا وأما من جهة التركيب الطبيعي للأقاليم الجنوبية فهي على عكس الأقاليم القطبية الشمالية . وبالأجمال فإن القطب الشمالى واقع في بحر عميق وأما القطب الجنوبي فعلى هضبة عالية ، ولما وصل پيرى إلى القطب الشمالى وجدته بحرا واسعا مترامى الأطراف ، وقد حاول قياس عمقه فذهب المسبار إلى ٩٠٠٠ قدم دون أن يهتدى إلى قاعه ، والحال على عكس ذلك بالضبط في القطب الجنوبي فهناك قارة شاسعة يتوسطها القطب نفسه وترتفع القارة هناك بانحدار عند ساحل البحر كما هو الحال في جميع القارات الأخرى .

وهذا الساحل عبارة عن جرف من الثلج والطريق الموصل من ذلك الجرف الثلجى إلى القطب نفسه يتخلله هضبة عالية بها سلاسل جبال

ممتدة إلى مئات من الأميال . ومن أهم الأقطار التي تتهدد المستكشفين هناك الأنهار الثلجية التي كثيرا ما تنزلق نحو البحر فاغرة أفواها العظيمة . وبالنسبة لهذه الفوارق في المميزات الطبيعية نجد أن بالقطب الشمالى مجالا شاسعا للحياة في حين أنه لا يوجد بالقطب الجنوبى شىء حى بعيد عن البحر . فما أجدر بأن يسمى إقليم الفناء وما أحق الآخر بأن يلقب بإقليم الحياة .

الفهرس

صفحة		
٥	: الدنيا القديمة	الفصل الأول
١٢	: العصور المظلمة والفيكنج	الفصل الثاني
	: الجوابون المسلمون — الرهبان المسيحيون —	الفصل الثالث
١٨	ماركو پولو	
٢٧	: الأمير هنري الملاح	الفصل الرابع
	: فاسكو داجاما ، برثليميو دياز — الملاحة حول	الفصل الخامس
٣٢	رأس الرجاء الصالح	
٣٧	: كلبس وكشف الدنيا الجديدة	الفصل السادس
٤٣	: رحلات كلبس التالية وفسبوتسى ، وكبرال ويلبو	الفصل السابع
٤٨	: آل كابت ومبدأ البحث عن الممر الشمالى الغربى	الفصل الثامن
٥٢	: مجلان وأول سفرة حول الدنيا	الفصل التاسع
٥٨	: كرتيس وكشف مكسكو	الفصل العاشر
٦٣	: بيزارو وغزو بيرو	الفصل الحادى عشر
٦٨	: الطريق الشمالى الشرقى — ولوبى وتشانسلور	الفصل الثانى عشر
٧٢	: جون هوكنز ورحلات دريك	الفصل الثالث عشر
٧٧	: رحلة دريك حول الدنيا	الفصل الرابع عشر
٨١	: مرتن وفرو بشر	الفصل الخامس عشر
٨٤	: الممر الشمالى الشرقى — ديفس وهلسن	الفصل السادس عشر

صفحة	
٨٨	الفصل السابع عشر : جلبرت وراى
٩١	الفصل الثامن عشر : المستكشفون الفرنسيون بكندا
٩٣	الفصل التاسع عشر : كشف نهر النيجر — منجو بارك
٦٩	الفصل العشرون : كشف النيل الأزرق — بروس
	الفصل الحادى والعشرون : كشف النيل الأبيض — برتن — سبيك
٩٩	جرانت — بيكر
١٠١	الفصل الثانى والعشرون : دافيد ثفنجستون
١٠٦	الفصل الثالث والعشرون : ستانلى وكشف نهر الكونغو
	الفصل الرابع والعشرون : كشف سواحل استراليا — تورز —
١١٠	طسمس — دمير
١١٣	الفصل الخامس والعشرون : الكابتن كوك
١١٦	الفصل السادس والعشرون : تنمة كشف استراليا
	الفصل السابع والعشرون : استكشاف الأقاليم القطبية

طبعة الأعمشاد مصر

45

Bibliotheca Alexandrina



0232134

To: www.al-mostafa.com